أساليب المواجهة والتكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية:

بحث أنثروبولوجي في بعض قرى النوبة بمحافظة أسوان

د. جبر الله عباس حسن سلمان(*)

الملخص:

يهدف البحث الراهن إلى الكشف عن دور المرأة النوبية في مواجة الجائحة، وطرق التكيف مع الأزمات المترتبة عليها. وقد اعتمد البحث على الأسلوبين الوصفي، والتاريخي، باستخدام طريقتي المقابلة والملاحظة، حيث أُجري البحث على عينة عمدية شملت عشر حالات من النساء النوبيات الناشطات اللاتي كانت لهن أدوار بارزة في مواجهة الجائحة. وقد تم جمع البيانات الميدانية باستخدام دليل المقابلة المتعمقة، ودليل الملاحظة. وقد كشف البحث عن مجموعة من النتائج من أهمها:

قدمت المرأة النوبية – في مجتمع البحث– عدة نماذج لمواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها، حيث تبنت مبادرة توزيع الكمامات بالمجان، كما حرصت على تنظيف منزلها والشارع بشكل يومي، بالإضافة إلى الاندماج في أنشطة الجمعيات الأهلية النسائية في مواجهة الجائحة، وذلك من خلال الانخراط في مجموعة من الأنشطة التي نظمتها تلك الجمعيات مثل: مبادرة الزم بيتك، والندوات التثقيفية المتنوعة، علاوة على إعادة اكتشاف دور التراث الماضي (كرامة أرجيه) في مواجهة الجائحة.

الكلمات المفتاحية:

المرأة النوبية، مواجهة الجائحة، التكيف الاجتماعي.

(*) مدرس علم الأنثروبولوجيا بقسم علم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة السويس.

Nubian Woman's ways of coping with and Adaptation to the risks and crises of pandemic: Anthropological research on some Nubian villages in Aswan Governorate

Dr. Gabralah Abbas Hassan Salman

Abstract:

The current research aims to reveal the role of Nubian women in coping with the pandemic and how to adapt with the crises arising from it. The research adopted the descriptive, historical, and limited comparative approach, using the interview and observation approach. The research was conducted on a purposive sample that included ten cases of Nubian women who had a prominent role in coping with the Covid 19. Field data were collected by using the in-depth interview guides. The research highlighted a set of results, most importantly:

Activists Nubian women presented –In search community- several models of resisting the epidemic and adapted to its crises, as they adopted the initiative to distribute masks free of charge and were keen to clean their house and the street on a daily basis. In addition, they activated the role of women's associations in coping with the pandemic in several ways, as they presented: the stay home initiative, organized many educational seminars. Moreover, they worked on re-discovering the role of past heritage "Karama arga" in facing the pandemic.

Keywords:

Nubian Women, coping pandemic, social adaptation

مقدمة:

شهد المجتمع النوبي في جنوب مصر عدة صور لمواجهة المرأة لجائحة كوفيد١٩. حيث تُوجد المواجهة – كفعل اجتماعي – في مناحي الحياة الاجتماعية كافة، فالمواجهة قد تكون فردية أو جمعية أو مجتمعية، ويحاول البحث الراهن تقصي وتحليل أساليب مواجهة المرأة النوبية للجائحة، وتكيفها مع الأزمات المترتبة عليها، عبر المجهودات الفردية والجمعية والمجتمعية، ويستدعي ذلك تتبع الأزمة منذ بدايتها، عبر المقابلات والملاحظات الميدانية للباحث. إضافة إلى تحليل مواجهة الجائحة وتفسيرها، وأساليب التكيف مع أزماتها في ضوء الأُطر النظرية، ومن خلال السياقات التاريخية المتشابهة، وذلك حتى يمكن الوصول إلى نماذج واقعية للأساليب التي اتبعتها لمواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها.

وفي سبيل تحقيق أهداف البحث المتمثلة في: محاولة الكشف عن صور المواجهة وأساليب التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية. فقد عمل الباحث على دراسة مواجهة الجائحة عبر المستويات الفردية، والجمعية، والمجتمعية؛ بحيث ترتبط دراسة كل مستوى من تلك المستويات بمحاولة الباحث حل إشكالية البحث الراهن، والتي تتجلى في محاولة فهم عمليات مواجهة الجائحة، في كل مستوى من تلك المستويات، ومن ثم فهم كيف تتبلور تلك المواجهة في صورة أنماط وأساليب من التكيف اليومي الذي يضبط ويغير من نمط الحياة الاجتماعية.

أولاً - مُشكلة البحث:

أعلنت منظمة الصحة العالمية عن تفشي فيروس كوفيد ١٩ (كورونا المستجد) في كثير من بلدان العالم – بل واعتبرته جائحة– لكونه حالة طارئة على الصحة العامة، ومن ثم تحظى باهتمام دولي (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء، ١١مارس ٢٠٢٠: ٢٥). بينما أعلنت وزارة الصحة المصرية عن اكتشاف أول حالة إصابة بالفيروس لمواطن صيني في ١٤ فبراير ٢٠٢٠، ثم بعد

ذلك في ٥ مارس ٢٠٢٠ أعلنت السلطات المصرية عن اكتشاف أول حالة إصابة بهذا الفيروس لمواطن مصري كان عائدًا من الخارج، وفي نهاية شهر مارس ٢٠٢٠ وصلت أعداد الإصابات بهذا الفيروس (٧٣٩) مصابًا، وتوفى منهم (٤١) شخصًا، وتعافى (١٥١).

وفي نهاية شهر إبريل ٢٠٢٠ وصلت حالات الإصابة إلى (٥٥٤٤) أي بمعدل زيادة بنسبة ٦٥٠٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات الوفيات (٣٩٢) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٨٥٦٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات التعافي (١٣٨١) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٨١٤٪ عن نهاية الشهر السابق. وفي نهاية شهر مايو وصلت حالات الإصابة إلى (٢٤.٩٨٥) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٣٥٠٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات الوفيات (٩٥٩) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ١٤٤٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات التعافي (٦٠٣٧) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٣٣٧٪ عن نهاية الشهر السابق. وفي نهاية شهر يونيو وصلت حالات الإصابة إلى (٦٨.٣١١) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ١٧٣٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات الوفيات (٢.٩٥٣) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٢٠٧٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات التعافي (١٨.٤٦٠) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٢٠٥٪ عن نهاية الشهر السابق.

وفي نهاية شهر يوليو وصلت حالات الإصابة إلى (٩٤.٠٧٨) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٣٧٧٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات الوفيات (٤.٨٠٥) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٦٢٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات التعافي (٣٩.٦٣٨) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ١١٤٪ عن نهاية الشهر السابق. وفي نهاية شهر أغسطس وصلت حالات الإصابة إلى (٩٨.٩٣٩) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٥٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات الوفيات (٥.٤٢١) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ١٢٪ عن نهاية الشهر السابق، وحالات التعافي (٧٢,٩٢٩) حالة أي بمعدل زيادة بنسبة ٨٣٪ عن نهاية الشهر السابق. حيث جاء ترتيب

مصر رقم (٢٥) في عدد المصابين بالفيروس، ورقم (١٨٦) في نسبة التعافي، ورقم (٤٠) في نسبة الوفيات من إجمالي عدد المصابين(*).

وبعد أن تمكنت هذه الجائحة من التفشي والانتشار في أغلب بقاع العالم، وأصابت وقتلت الآلاف؛ صارت مسألة مُلحة في أولويات الصحة العامة على مستوى العالم» (Badrfam and Zandifar,2020).

وبالنظر إلى حالة «البلدان النامية فإن مؤسسات الخدمات الرسمية تكون – في الغالب – ضعيفة أو حتى قليلة الأهمية والتأثير، الأمر الذي يدفع – لتجاوز تلك الظروف غير الآمنة – إلى إنشاء روابط وشبكات اجتماعية بديلة مع غيرهم من سكان المجتمع أو المجتمعات الأخرى» (Binzel and Fehr, January 2013:1). فالتجارب المستفادة من خبرات تفشي أية جائحة – في السابق – تفيد بضرورة الأخذ في الاعتبار بوجود النوع في الإجراءات التي تتم من أجل تحسين فعالية التدخل الصحي، وأهداف تحقيق المساواة الصحية بين الجنسين. ففي الفترة من ٢٠١٤ –٢٠١٦ وأثناء تفشي جائحة إيبولا في دول منطقة غرب أفريقيا كان من بين المعايير الجندرية السائدة هو أن النساء أكثر احتمالاً بالإصابة، وذلك نظرًا لأدوارهن الرائدة في مجالات الرعاية الأسرية والعمل في خطوط المواجهة الأمامية في الخدمات الصحية. ولكن كان واضحًا أن النساء كُنَّ أقل احتمالاً أن يصلن إلى سلطة اتخاذ القرارات في مسألة مواجهة الجائحة، وتلبية احتياجاتهن الصحية؛ وعلى سبيل المثال فإن خدمات الرعاية الإنجابية، والصحة الجنسية للنساء تم تحويلها للمساهمة في خدمات الطوارئ بالمستشفيات؛ الأمر الذي أدى إلى ارتفاع حالات وفيات الأمهات في منطقة غرب أفريقيا، وهي المنطقة التي تُعتبر واحدة من أعلى معدلات الوفيات في العالم (Smith, march 2020: 487). وبالنظر إلى موضوع هذا البحث الذي يتمحور حول صور مواجهة المرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩ وأساليب التكيف مع أزماتها، فإنه يمكننا أن ننظر إلى المرأة النوبية من حيث انخراطها في مبادرات ذاتية على أنها في الوقت نفسه تعمل على تغيير العديد من

الصور الذهنية السلبية المتعلقة بالمرأة، وأدوارها الاجتماعية، وعلى سبيل المثال فقد كشفت "بليي ١٩٩١" أن المرأة استخدمت استراتيجيات مميزة تقوم على الروابط الأسرية وتقاليد تناول العشاء في الكنيسة، وكذا مجهودات لم شمل الأسرة وغيرها من الاستراتيجيات التي تسعى إلى تعبئة المرأة ضد خطاب الكراهية الدينية والعنصرية (Taylour, 1999).

وبالتالي فإن النظر إلى حالة المجتمع المصري من حيث بنيته الاجتماعية والصحية في مواجهة جائحة كوفيد ١٩ سيكفل لنا فهم الأفعال الاجتماعية المواجهة للجائحة. حيث «تشير الأرقام والإحصاءات الصحية إلى تدني أداء المؤسسة الصحية الرسمية؛ فوفقًا لتقرير المبادرة المصرية للحقوق الشخصية ٢٠١٨ فإن الإنفاق الحكومي على الصحة منخفض ولا يتعدى ١.٥٪ من إجمالي الناتج المحلي، أي حوالي ٢٠٠ جنيه للفرد (٣٣ دولار سنويًا)، وهذا الاستثمار المحدود من الإنفاق العام تقابله زيادة في الاعتماد على القطاع الخاص، مما يفاقم من أزمة انهيار النظام الصحي، وينعكس على الإنصاف بالسلب من حيث إتاحة الخدمة وجودتها خاصة للفئات الأضعف» (غانم، مارس ٢٠١٨:٢٢).

وإذا كانت الأمور في شبكات الرعاية الرسمية تجري في هذا الإطار، فإنه ومع الجائحة التي تعجز عن مواجهتها أقوى النظم الصحية في العالم؛ فمن المتوقع أن النظام الصحي المصري– المواجهة المؤسسية – لن يتمكن من تحمل الطلب على خدماته؛ وبالتالي لا يستطيع أن يحقق نجاحًا بمفرده في تحقيق المواجهة، فالسلطة الحاكمة أصبحت مفتقدة لقوى السيطرة المطلقة، وحلت محلها السيطرة المتشاركة، فكل منهم أصبح له دور حاسم في التعامل مع الأزمة. ومع تطور الديموقراطية التشاورية الغربية لهابرماس Habermas والفردانية لبودون Bowdon والنزعة الفردية المستأنسة ومجتمع المخاطر لأورليش بيك .*Ulrich Beck* تستدعي مواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها مسئولية مشتركة على مستويات عدة فردية وجمعية ومجتمعية ومؤسسية، من أجل حشد الموارد المادية والبشرية لمواجهة هذا

التحدي. وفي ظل انتشار جائحة كوفيد ١٩(كورونا المستجد) على هذا المستويين المحلي والعالمي، وما نتج عنها من تحولات عديدة اقتصادية، واجتماعية، وصحية محلية وإقليمية، وعالمية، وفي ظل قرارات الدولة من فرض حظر شامل لمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، وهي بالطبع تحولات طرحت أزمات متباينة اقتصادية واجتماعية وصحية وثقافية؛ نجد المرأة النوبية تمثل نموذجًا للتمكين الذاتي، «حيث جادل النسويون بأن التمكين ليس شيئًا يمكن القيام به للنساء أو من أجلهن، حيث إن شعار " كل ما هو شأن شخصي يُمكن النظر إليه على أنه سياسي" يعني أن جذور عملية تمكين المرأة تتجسد في زيادة وعيها وقدرتها على الفعل من أجل تغيير عالمها، ويتم ذلك عندما تتعرف النساء على قوتهن الذاتية في هذا التغيير» (Cornwall, 2014: 25). «وقد كان المجلس التنفيذي لمنظمة الصحة العالمية قد طالب بضرورة دمج المرأة، ومنحها دورًا قياديًا في قرارات وإدارة تفشي الأوبئة؛ إلا أن الواقع يشهد بسوء تمثيل النساء في تلك العملية، كما يتضح – حاليًا – من سياسات مواجهة جائحة كوفيد ١٩"» (Smith, march 2020: 487).

وبمراجعة التراث المنشور حول أساليب المواجهة والتكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩. تبين للباحث تنوع استراتيجيات المواجهة والتكيف، وأن لكل مجتمع خصوصية تنتج استراتيجيات مميزة في مواجهة الجائحة والتكيف مع الأزمات المترتبة على انتشارها. حيث أشارت دراسة (Amitai, 2020) إلى أن منصات التواصل الاجتماعي يمكن أن تساعد الناس على تجنب الآثار الضارة للعزلة الاجتماعية خلال هذه الجائحة. وفى الصين جاءت دراسة(Nurunnabi and et al, 2020) لتؤكد على أن هناك اهتمام واضح وملموس لدى الطلاب باستعمال تقنيات طبية وتواصلية كاستراتيجية للتكيف مع شراسة الجائحة، والمستويات المرتفعة من القلق والاضطراب النفسي. وأن استخدام أدوات التباعد الوقائي كان عاملاً مهماً في تقليل تلك الأعراض.

وفي تركيا توصلت دراسة (Tekeci,2020)إلى أن ٦٠.٣٪ من العينة يسعون بجدية إلى البحث عن دعم اجتماعي لهم كي يمكنهم التكيف ومواجهة صور القلق المرتبطة بمخاوف الجائحة.

وعلى المستوى الأفريقي جاءت دراسة (ربيع، ٢٠٢٠) لتؤكد على ضعف نظم الرعاية الصحية، وتدني مستويات اختبارات الكشف عن الإصابة في الدول الإفريقية مقارنة بغيرها من دول العالم، وارتفاع معدلات الثقة في سياسات المواجهة وإجراءات الإغلاق، على الرغم من التكلفة الاقتصادية والاجتماعية شديدة الارتفاع.

وفي مصر أكدت دراسة إبراهيم (٢٠٢٠) على أن الأسرة في مصر على دراية بأخبار كوفيد ١٩ وخاصة على المستوى المحلى، ويأتى التليفزيون والإنترنت في مقدمة مصادر المعرفة بجائحة كوفيد ١٩، وأن الأسرة المصرية لديها معرفة مرتفعة بطبيعة جائحة كوفيد ١٩، وبأعراض الإصابة، وطرق نقل العدوى، والتدابير الوقائية. لكن هناك تدنيا نسبيا في مستوى ممارسات الأسرة لتلك الإجراءات والتدابير الوقائية، وخاصة لدى الأسر الريفية والفقراء. كما كان هناك تأثير واضح من المستوى الاقتصادى والتعليمى على درجة مستوى المعرفة.

وفي أثيوبيا جاءت دراسة (Girmaand and Ayalew, 2020) لتؤكد على أن أكثر أنواع استراتيجيات التكيف والمواجهة المفضلة هي استراتيجيات المواجهة الدينية والفعالة والنشطة، بينما كانت المواد الوقائية والطبية هي الأقل استخدامًا. وفي زيمبابوي توصلت دراسة (Benza and et al,2020) إلى أن الإغلاق قدم تحديات وفرصًا؛ حيث كان بعض الناس يكافحون من أجل التأقلم، لكن البعض رأى في ذلك فرصة للقيام بأشياء لم يكن لديهم وقت لفعلها قبل ذلك. وكشفت الدراسة –أيضًا– أن الناس لجأوا إلى مجموعات WhatsApp للتواصل مع زملائهم في العمل والأصدقاء وزملاء الدراسة والأقارب. ولجأ معظم الزيمبابويين إلى الألعاب المنزلية مع أفراد أسرهم وممارسة الرياضة والاستماع إلى الموسيقى والبستنة. مع تقييد الحركة نتيجة الإغلاق، وكان على الناس الانخراط في الصلاة وغيرها من الأنشطة الدينية

في منازلهم. كما وجد الطلاب الإغلاق فرصة جيدة للانخراط في البحث واستفادوا أيضًا من المنصات التعليمية لمواصلة التعلم.

وفي مصر – أيضًا– أشارت دراسة الريس وخشبة (٢٠٢٠) إلى أن الجائحة سلطت الأضواء على أهمية الصحة الرقمية وتأخر عديد من دول العالم عن إدراك أهميتها في التشخيص والعلاج واستباق وإدارة الجائحة، وجودة الأزمات الصحية. وأن جهود ومبادرات متعددة للصحة الرقمية في مصر يعوزها التكامل والترابط. كما أكدت دراسة عريقات (٢٠٢٠) على أن جهود الدولة في مواجهة تأثير كورونا على المشروعات الصغيرة بدأت مع بدء الجائحة؛ حيث عملت الدولة على اتخاذ عدد من الإجراءات الاقتصادية المهمة منها: تخصيص قروض بحد أقصى مليون جنيه للمشروعات الصناعية، ونصف مليون للمشروعات الخدمية. كما أن هناك مبادرة مهمة للبنك المركزى المصري للتخفيف عن المشروعات الصغيرة والمتوسطة؛ حيث أصدر قرارًا بتأجيل أقساط الشركات الصغيرة والمتوسطة ستة أشهر. وهناك – أيضًا– مبادرة مهامة للهيئة العامة للرقابة المالية لدعم التمويل متناهي الصغر. كما أشارت دراسة الفندري وخشبة (٢٠٢٠) إلى أن من أهم التحديات التي تواجه النظام الصحي في مصر، تحديات تفعيل آليات استباق وإدارة المخاطر والأزمات. كذلك تحديات توفير الموارد والإنفاق على الصحة. وفي مصر – أيضًا– نجد دراسة مرسي والصاوي (٢٠٢٠) تؤكد على أن جهود مصر لمواجهة آثار جائحة كورونا، تعليق حركة الطيران في كافة المطارات المصرية من ١٩ مارس حتى نهاية شهر مايو، تعقيم الفنادق السياحية، غلق جميع المنافذ البرية، غلق المطاعم والمقاهي، والكافيهات، والكازينوهات، الملاهي.

وإذا كان التراث المنشور حول جائحة كوفيد ١٩ أظهر تباينًا واضحًا في مواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها، كما أنه –على حد علم الباحث– لم يسلط الضوء على أدوار المرأة بصفة عامة؛ والمرأة النوبية بصفة خاصة في مواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها. لذلك جاء البحث الراهن ليفي بهذا الغرض، وذلك عبر

تقديم رؤية أنثروبولوجية تكشف عن الصور التي قدمتها المرأة النوبية في مواجهة جائحة كوفيد ١٩، وأساليب التكيف مع أزماتها، وذلك من خلال تقصي وتحليل حالات مواجهة الجائحة والتكيف مع الأزمات المترتبة عليها، عبر المجهودات الفردية والجمعية والمجتمعية للمرأة النوبية. وبناء على ما سبق تَحدد الهدف العام من البحث الراهن في محاولة الكشف عن صور المواجهة وأساليب التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية. وانطلاقًا من الهدف العام للبحث يمكن تحديد مشكلة البحث الراهن في التساؤل الآتي:

ما صور المواجهة وأساليب التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، يحاول الباحث الاستفادة من المقولات النظرية لكل من أنتوني جيدنز، وزيجمونت باومان، وأولريش بيك في تحليل وتفسيرات المتغيرات المحددة لفعل المواجهة لدى المرأة وأساليب تكيفها مع الأزمات الطارئة، وبما يغطي تمامًا الستة أشهر الأولى من ظهور وتفشي الجائحة في المجتمع النوبي.

ثانيًا: أهمية البحث: تتحدد أهمية البحث الراهن في الآتي:

الأهمية النظرية:

١- يستمد هذا البحث أهميته من محاولة الباحث تسليط الضوء على مجتمع يتسم بخصوصية ثقافية مميزة عن بقية المجتمعات من ناحية، وندرة الأبحاث التي تسلط الضوء على المرأة في هذا النوع من المجتمعات من ناحية أخرى. مما يساعدنا في الكشف عن أهم الممارسات التي تتم من قِبَل المرأة النوبية تجاه جائحة كوفيد ١٩، وهو ما يمكن أن يمثل إثراءً للمعرفة والبحث العلمي حول إدارة المرأة لتفشي جائحة كوفيد ١٩ بصفة عامة، والمرأة النوبية بصفة خاصة.

٢- تكمن أهمية هذا البحث – أيضًا – في تقديم المعلومات الأساسية عن أساليب تعامل هذا المجتمع مع الجائحة بصفة عامة، وتعامل المرأة مع

جائحة كوفيد ١٩ بصفة خاصة، مما يساعد فى التعرف على منطقة النوبة، وخصائص سكانها.

الأهمية التطبيقية:

١- من الممكن أن تستفيد مجتمعات أخرى من تجارب السيدات النوبيات في مواجهتهن للجائحة، والتكيف مع الأزمات المترتبة على انتشارها.

٢- تساعد نتائج هذا البحث في الكشف عن الوعي الصحي في هذا المجتمع، مما يساعد في وضع البرامج التي تعمل على مواجهة الجائحة والوقاية منها.

ثالثًا- أهداف البحث وتساؤلاته:

انطلاقًا من الهدف العام للبحث، والمتمثل في محاولة الكشف عن صور المواجهة وأساليب التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية. يمكن للباحث محاولة تحقيق الأهداف الفرعية الآتية:

الهدف الأول: الكشف عن صور المواجهة النسائية لجائحة كوفيد ١٩ (كورونا المستجد) في المجتمع النوبي بمصر.

ولتحقيق هذا الهدف حاول الباحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما صور المواجهة الفردية للمرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩؟
- ما صور المواجهة الجمعية للمرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩؟
- ما صور المواجهة المجتمعية للمرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩؟

الهدف الثاني: محاولة رصد أساليب تكيف المرأة النوبية مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩.

ولتحقيق هذا الهدف حاول الباحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما أساليب تكيف المرأة مع الأزمات الاقتصادية المترتبة على جائحة

كوفيد١٩؟

- ما أساليب تكيف المرأة مع الأزمات الاجتماعية المترتبة على جائحة كوفيد١٩؟

- ما أساليب تكيف المرأة مع الأزمات الصحية المترتبة على جائحة كوفيد ١٩؟

رابعًا- التعريف الإجرائي لمفاهيم البحث:

من خلال العرض النظري لمشكلة البحث ومتغيراته، عمل الباحث في بحثه الراهن على اعتماد جملة من التعريفات الإجرائية الآتية:

١- مواجهة الجائحة:

أ- مواجهة الجائحة على المستوى الفردي:

- ارتداء الكمامة والقفازين- التباعد المكاني- النظافة ونظافة المكان (استخدام الكحول والمطهرات بصفة مستمرة) - العزل المنزلي الطوعي.

ب- مواجهة الجائحة على المستوى الجمعي:

- الحد من المناسبات والزيارات والتفاعل الاجتماعي (خليك في البيت) - نشر الوعي بطرق مواجهة الجائحة - التواصل الجمعي مع الهيئات التنفيذية.

ج- مواجهة الجائحة على المستوى المجتمعي:

- إعادة إنتاج التراث الشعبي (التواتر - الاستعادة - الإضافة بالاستعارة والإبداع).

٢-التكيف الاجتماعي:

والذي تعرفه موسوعة العلوم الاجتماعية بأنه: العملية التي يحاول بها الأفراد والجماعات أن يتلاءموا مع الأوضاع المختلفة التي يوجدون بها، وأن يتمكنوا من تغير سلوكهم، أو تعديله طبقا للظروف المحيطة تدريجيا على نحو يتلون باختلاف الأفراد والجماعات، بصورة يتجلى فيها السلوك المنسجم مع البيئة التي يعيش ضمنها

الفرد أو تتفاعل معها الجماعة (الفقيه، ٢٠١٥: ٥).

التعريف الإجرائي للتكيف الاجتماعي: الأنماط السلوكية التي تتبعها المرأة النوبية للتعايش مع الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والصحية الناتجة عن جائحة كوفيد ١٩. على المستوى الفردي والجمعي والمجتمعي، وذلك باتباع أساليب تتفق مع السياق الثقافي السائد في المجتمع النوبي.

ويمكن أن نفصل الأنماط السلوكية للتكيف كما يلي:

- **أنماط سلوكية طبية:** العمل على توفير الأدوات الطبية الاحترازية.
- **أنماط سلوكية إنتاجية:** القيام بمشغولات وأعمال منزلية بهدف البيع، وذلك للحصول على دخل إضافي لدخل الأسرة.
- **أنماط سلوكية اجتماعية:** تقوم على الحصول على دعم من الشبكات الاجتماعية غير الرسمية، خاصة تلك الشبكات التي ترتبط بهوية الجماعة النوبية.
- **أنماط سلوكية ثقافية:** تقوم على العودة إلى التراث الثقافي للجماعة النوبية.

خامسًا- التصور النظري حول مواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها:

إلى أي حد نكون فاعلين بشريين ناشطين نتحكم في الظروف التي تكتنف حياتنا الإنسانية؟ هذه القضية لا تزال محط اهتمام وخلاف بين علماء الاجتماع (جيدنز، ٢٠٠٥: ٧٠٢). ففي تتبعنا لعلم الاجتماع الكلاسيكي، فإننا سنكون شاهدين على جدل محتدم بين رواد علم الاجتماع آنذاك، خاصةً بين فيبر Weberودوركايم Durkheim، حيث اتجه (فيبر) إلى أهمية المعنى والفهم في تفسير الظاهرة الاجتماعية، بينما ارتبط دوركايم بالقيود البنيوية، ولا تزال تلك الانقسامات حاضرة إلى اليوم، حيث إن هناك فريقًا يرى أن البنية الاجتماعية هي التي تحدد أفكارنا وممارساتنا الاجتماعية، واستجاباتنا لكوارث الطبيعة والظروف الاستثنائية، كما يؤكد ذلك دوركايم حيث يرى «أن المجتمعات التي نعيش فيها وننتسب إليها تفرض قيودًا

وضغوطًا مجتمعية على أفعالنا» (جيدنز، ٢٠٠٥: ٧٠٢).

بيد أن فريقًا آخر يمنح الفاعلين قدرة متميزة على ضبط مسيرة الحياة الاجتماعية. كما يؤكد ذلك « إرفنج جوفمان Erving Goffmanحيث يرى أن الفاعل البشري هو كائن على قدر عظيم من المعرفة والذكاء الاجتماعي. وفي الوقت نفسه عندما يسلك وفق طقوس أو شعائر أو يستخدم التواصل اللغوي، أو يتموضع في سياقات اجتماعية معينة، فإنه يقوم بترسيخ جانب من قواعد السلوك وتعديل جانب آخر» (جيدنز، ٢٠٠٥: ٧٠٤).

«ويؤكد جيدنز Giddens أنه لا يمكن ولا يتعين التفكير في الفعل والبناء بوصفهما قوتين منفصلتين، ولكن بوصفهما شيئين مزدوجين توجد علاقة جدلية بينهما ويتعذر فصل الفعل والبناء عن بعضهما، وهما متواجدان معًا في كافة أشكال النشاط الإنساني» (ريتزر، ٢٠٠٦: ٧٩). «ويرى جوفمان أن ثمة بنية ثنائية مزدوجة، ويعني ذلك أن الفعل الاجتماعي يستبق البنية الاجتماعية، وأن البنية تستبق الفعل في الوقت ذاته، لأن البنية تعتمد على انتظام الأنماط وتواترها في السلوك البشري» (جيدنز، ٢٠٠٥: ٧٠٢-٧٠٤).

وتعمل المجتمعات الإنسانية على تقديم استجابات اجتماعية للأزمات غير المتوقعة، ويحدد طبيعة تلك الاستجابات بنية المجتمع ومستويات الفعل الاجتماعي، ففي بعض المجتمعات يتم وصم المصابين واستبعادهم تمامًا، بينما في مجتمعات أخرى نشهد مبادرات جمعية ومجتمعية واسعة النطاق، تتجاوز خلع معاني الوصم أو استبعاد المصابين. «ووفق Ferguson.2007 يؤدي السلوك البشري دورًا رئيسًا في تشكيل مسار الجائحة، واتفق معه كلٌ من (Verelst and other.2016) و(Gozzi,2020) بقولهم: إن الأفراد قد يعملون – تلقائيًا– بتعديل سلوكياتهم واعتماد تدابير وقائية استجابية للجائحة عندما يستشعرون الخطر من ارتفاع معدلات الوفيات، وهو ما ينعكس بدوره على معدل انتشار الجائحة بالانخفاض». ولهذا كان للأفعال المبنية على وعي الأفراد دور مهم في مواجهة

الجائحة، والحد النسبي من الانتشار. وهذه الأفعال تعرف بما يسمى المواجهة أو المقاومة، والتي هي «مُتَضّمنةٌ في معظم العلاقات الاجتماعية بدايةً من الثورة إلى تسريحات الشعر لدى السيدات»

Hollander and Einwohner, 2004:534 .

وإذا كان Jasper يعتبر أن المقاومة «هي أكثر تجسيدًا، ووضوحًا في نطاق الحركات الاجتماعية، وفى كافة مجالات الاحتجاج» (Jasper, 1997:10). فإن ثمة صورة للمقاومة لا تندرج تحت الغطاء السياسي والثوري بشكل مباشر، فمقاومة أو مواجهة الجائحة هي فعل اجتماعي (فردي، وجمعي، ومجتمعي) تقتضي تطبيق سياسات تنال من حرية الآخر وإرادته الحرة. ومن ثم فإن الأولىَ بالبحث الأنثروبولوجي أن يتصدى لدراسة المواجهة الاجتماعية للجائحة؛ وأساليب التكيف مع أزماتها.

حيث إن عملية المواجهة الاجتماعية للجائحة يمكن النظر إليها – كما أكد جيرهارت Gerhardt– على أنها «بمثابة فعل اجتماعي يرتبط بعملية بناء المعنى ومن ثم تختلف صور واستراتيجيات المواجهة تبعًا للمعاني السائدة في كل مجتمع حول طبيعة الجائحة، أي أن الجانب الاجتماعي للمواجهة يتطلب معرفة كيفية تأثر مواجهة الفرد والجماعة للجائحة في ضوء المعاني الاجتماعية القائمة للتنظيم الاجتماعي المسيطر»(Gerhardt, 1979:196). حيث تختلف مواجهة الجائحة في المجتمعات التقليدية عن تلك المواجهة في المجتمعات الحديثة. «وبالرغم من أن مصطلح المواجهة يتم استخدامه في العديد من التخصصات العلمية؛ فإن علمي الاجتماع والبيولوجي – على سبيل المثال – يستخدمان مصطلح المواجهة من أجل وصف الطرق والآليات التي يتعامل بها المجتمع أو الكائن الحي مع الأزمات. والمصطلح ينتمي بشكل أساسي إلى علم النفس، والمحور الأساسي لتعريف المفهوم يقوم على النضال في مقابل الشدائد، وما يرتبط بها من أزمات نفسية على المستويين الذاتي والاجتماعي المحيط بالفرد»(Mitrousi, and et al,2013: 132,133).

لذلك يرتبط «مصطلح استراتيجيات المواجهة بشدة بفكرة البقاء والتهديد، فهو مصطلح رئيس في عمليات إدارة الطوارئ الصحية» (W.H.O,1998).

«ويمكن تعريف المواجهة الاجتماعية من خلال التراث المتوفر والذي يشير إلى أن المواجهة هي قيام الفرد بمعالجة المشكلة التي تقابله من خلال التأثير الفعال في بيئته، وأن يبادر بفعل شيء ما، كي يغير من حالته، ووفقاً لـ "ميكانيك Mechanic" فإن المواجهة تعني أن يتم التحكم بالمعرفة عن البيئة، أكثر من مجرد التحكم في البيئة ذاتها» (Gerhardt, 1979:196).

«وفقاً لـ"لازاروس وفولكمان" اللذيْن ابتكرا مصطلح المواجهة، فإنه يمكن تعريف ذلك المصطلح بأنه المعرفة المتوفرة، والجهود السلوكية المبذولة في سبيل إدارة التعامل مع مطالب محددة ومُلحة؛ سواء أكانت ذات مصدر داخلي (ذاتي) أو خارجي (اجتماعي). ولهذا التعريف العديد من الميزات تتمثل في:

أولاً: يصف المواجهة بأنها عملية، وليست مجرد تعبير عن خصائص أو سمات ثابتة، أو حتى أنماط سلوكية جامدة، فالعملية يمكن وصفها عبر طرق وظيفية، وإجرائية، حيث إنها يمكن أن تصبح موضوعًا للتدخل والمعالجة.

ثانيًا: يشير التعريف إلى محاولات الأفراد العمل على تقييم وتقدير، ومن ثم تحقيق نمط ملائم من المواجهة (وليس التحكم والذي يعتبر عملاً مستحيلاً في حد ذاته).

ثالثًا: يشير تعريف المواجهة إلى التعبئة التي يقوم بها الكائن الحي، أو تلك الجهود المقصودة للفرد حِيال الشدائد الداخلية والخارجية.

رابعًا: إن الإدارة الواعية المقصودة للمتاعب أو المواجهة يجب ألا تختلط مع الاستجابات التلقائية للفرد أو آليات الدفاع عن الذات، حيث يختلف مفهوم المواجهة عن مفهوم التكيف، من حيث إن الأخير هو أكثر عمومية، وله معانٍ أكثر اتساعًا، ويتضمن طرقًا مختلفة في مواجهة المصاعب» al,

(Travlos and et 2013: 132,133). ومن بين الأمور المهمة في مجال دراسة استراتيجيات المواجهة، أن نسعى إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين المتاعب الاجتماعية والشخصية من جهة والمواجهة اللازمة لتلك المتاعب واستراتيجياتها من جهة أخرى» (Melnyk, 2011: 84).

«وفقًا لكارفر Carver، وشير Cher، ووينتراوب Weintraub (١٩٨٩)، فإن المواجهة تتمثل في التمييز بين نمطين رئيسين:

النمط الأول: المواجهة التي تركز على التصدي للمشكلات، وهي التي تسعى إلى حل المشكلات أو تغيير مصدر التوتر والمتاعب الراهنة.

النمط الآخر: المواجهة التي تركز على إدارة العاطفة، وهي التي تسعى إلى تقليل أو إدارة الضغط العاطفي المرتبط بالموقف.

وكذلك يرى فولكمان ولازروس (١٩٨٠) Folkman and lazarus أنه على الرغم من أن معظم الضغوط والمتاعب تثير كلا النوعين من احتمالات المواجهة، إلا أن تلك المواجهة التي تركز على التصدي الإجرائي للمشكلة تميل إلى أن تكون النمط الغالب لدى الأفراد؛ خاصة عندما يعتقدون أنه يمكنهم القيام بشيء بَنّاء. بينما يتجه الناس إلى نمط المواجهة المعتمد على العاطفة عندما يشعرون أنه لا مفر من تحمل تلك المتاعب بدون القدرة على تصفيتها، أو الحد من آثارها الواقعية. وقد أوضح كل من فولكمان ولازروس (١٩٨٤) Folkman and lazarus أن متاعب الحياة تمر بعدة مراحل حتى تحدث المواجهة اللازمة لها:

المرحلة الأولى: عملية إدراك وجود تهديد.

المرحلة الثانية: عملية استحضار رد فعل محتمل على التهديد.

أخيراً: المواجهة؛ والتي تحدث عبر عملية تنفيذ ردود الأفعال أو الاستجابات في صورة عملية.

وبالرغم من الصورة الخطية لتلك المراحل فإن عملية المواجهة قد لا تحدث

بالترتيب ذاته، بل قد تتكرر الدورة في إحدى العمليات بدون الوصول إلى لاحقتها». (Melnyk, 2011: 32,33).

وحيث إن مواجهة الجائحة تتطلب عملية تتصدٍ للمشكلات العاجلة، وأخرى عاطفية تعمل على تدعيم الثبات الانفعالي والعاطفي، ومن ثم فإن عمليات إعادة الإنتاج الثقافي يتم استدعاؤها في مواجهة الجائحة وخاصة من حيث المواجهة العاطفية، حيث حضور الرموز التقليدية وصور التضامن الجمعي التي تعتمد على توظيف التضامن الذي ينقل معه هوية الجماعة.

ويرتبط مفهوم مواجهة الجائحة بعدد من المفاهيم الأخرى ذات الدلالة منها الحوكمية والانضباط الذاتي، فالحوكمية كما يتصور "فوكو" ذلك الشكل الذي يجعل «الذوات الفردية قادرة على الانضباط الذاتي، ومن ثَم الخضوع من ناحية أخرى، فالحوكمية بهذا المعنى تجمع بين تِقنيات الضبط والنظام من جهة وتكنولوجيا الانضباط الذاتي للأفراد من جهةٍ أخرى» (زايد،٢٠١٣: ١٤).

وهناك أسلوب لتحقيق الانضباط، وذلك عن طريق تقسيم الأفراد :«أولاً: العزل، بتوفير مكان منغلق على ذاته، محمي للرقابة الانضباطية. ثانيًا: فضاء انضباطي، ويقع خارج العزل، حيث تفكيك التركيزات الاجتماعية، وتوزيع الأجساد وفق مسافات محددة تلغي أي تداخل ملتبس، وتحارب التجمعات وتضبطها، وتتمكن من تعقب الأفراد، وخلق اتصالات مفيدة. ثالثًا: قاعدة المواقع الوظيفية داخل المؤسسات الانضباطية، وتخلق هذه المواقع فضاءً نافعًا يجمع بين التمكين والمراقبة، وذلك لبناء السيطرة للسلطة عن طريق الرقابة. فالانضباط يعد فنًا وتقنية لتغيير الترتيبات، فهو يوزع الأجساد داخل شبكة العلاقات». (فوكو، ١٩٩٠: ١٦٢-١٦٤)

«وبالنظر إلى مقاربة (أولريش بيك Ulrich Beck) حول مجتمع المخاطر العالمي – بعض المفاهيم المفسرة لحالنا في ظل هذه الجائحة– فلقد أكد "بيك" على أن المخاطر العالمية الناتجة عن التغير المناخي وانتشار الأمراض المعدية والجوائح عبر العالم، هي إحدى سمات عالمنا الرأسمالي المعاصر، وأنه في سياق كهذا يجب

على الأفراد والحكومات والشركات والدول أن يكونوا قادرين على التعايش مع المخاطر ومواجهتها والتكيف معها، عبر مختلف جوانب الحياة، بما في ذلك الصحة والمرض. ولقد أكد بيك على أنه في حال حدوث أي كارثة أو جائحة عالمية، فإن التأثير سوف يكون مدمرًا ويصعب احتواء تداعياته، ولعل هذا بعض ما يتجسد أمامنا ونحن نتابع تطور وسرعة انتشار جائحة الكورونا، وحصده لآلاف الأرواح عبر العالم. فعلى ضوء التحليل السابق، يجب أن نفهم جائحة الكورونا، ليس باعتبارها مشكلة فردية فحسب، بل خطرًا عامًا، ومصدرًا للقلق يطول الجميع، وعلى هذا الأساس يذكر (بيك) أن هناك ثلاثة ردود أفعال تجاه أي خطر عالمي يمكن أن نعايشه: الإنكار، أو اللامبالاة، أو التغيير. فمن خلال الإنكار نتصرف كما لو كان الخطر غير موجود. أما من خلال اللامبالاة يمكن للمرء أن يعترف بالخطر دون أن يعطيه أي اهتمام. وبالنظر إلى الواقع القائم في غالبية دول العالم بسبب «جائحة الكورونا» لا يمكن الاعتماد على الإنكار أو اللامبالاة، لذلك لا سبيل لنا إلا من خلال التغيير، فمن خلاله يجب على كل شخص إعادة النظر في تصرفاته، وأن يتوافق مع الإجراءات الجماعية العالمية التي ينصح بأن يلتزم بها الجميع. يجب على كل فرد أن يؤمن بأنه لا خيار أمامه إلا أن يسهم في هذا العمل الجماعي لاحتواء الجائحة ووقف انتشارها» (أبو دوح، ٢٠٢٠).

ووفقًا لزيجمونت باومان Zygmunt Bauman فإنه «في عالمنا الحديث السائل تتحول الأخطار والمخاوف إلى ما يشبه الحالة السائلة، ولم تُستحدث أسوار لإيقافها، يحوم شبح العجز حول كوكب خاضع لعولمة سلبية، فنحن جميعًا في خطر، ونحن جميعًا نجسد أخطارًا تهددنا جميعًا، ولا نخرج جميعًا عن أدوار ثلاثة: الجناة، والضحايا، والأضرار التابعة» (باومان، ٢٠١٧: ١٣٦) ومن ثم فالجائحة هي مشترك إنساني لن يتوقف خلف الحدود، وسيرتبط تأثيرها بنشاطات وعلاقات كل سكان العالم تقريبًا بخلاف العصور القديمة؛ التي كانت أي جائحة – رغم شراستها والعجز عن مواجهتها – محدودة في حركتها، أو على الأقل لم تخلق تضامنًا عالميًا حولها(عبد الحفيظ وحسن، ٢٠٢٠: ١٥٢).

سادسًا- الإجراءات المنهجية للبحث:

١- أساليب البحث:

تقتضي طبيعة البحث الراهن استخدام عدة أساليب بحثية بهدف الوصول إلى حلٍ لمشكلة البحث، وتقديم رؤية علمية واضحة ومترابطة للقضايا والموضوعات التي يطرحها البحث.

أ- الأسلوب الوصفي:

«يلجأ الباحث إلى استخدام هذا الأسلوب حين يكون على علم بأبعاد أو جوانب الظاهرة التي يريد دراستها؛ نظرًا لتوفر المعرفة بها من خلال بحوث استطلاعية أو وصفية سبق أن أجريت عن هذه الظاهرة، ولكنه يريد التوصل إلى معرفة دقيقة وتفصيلية عن عناصر الظاهرة موقع الدراسة» (أحمد، ١٩٨٢: ١٢١). «وتتجه الدراسات الوصفية إلى الوصف الكمي أو الكيفي للظواهر المختلفة بالصورة التي هي عليها في المجتمع للتعرف على تركيبها وخصائصها، كما تُعنى بحصر العوامل المختلفة المؤثرة في الظاهرة» (أحمد، ١٩٨٣: ٤٣).

لذا كان لزامًا على الباحث أن يستفيد من إمكانيات الأسلوب الوصفي في بحثه، حيث إن واقع مواجهة المرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩ وتكيفها مع الأزمات المترتبة عليها، يحتاج إلى جهد وصفى كبير يتعامل مع عناصر هذا الواقع كافة، وما يرتبط به من تصورات وممارسات للمرأة النوبية حيال مواجهة هذه الجائحة والتكيف مع الأزمات المترتبة عليها؛ من هنا اعتمد البحث الراهن على الأسلوب الوصفي الذي اعتمد على الطرق والأساليب الكيفية في الوصف التحليلي لتجارب النساء النوبيات اللاتي شاركن في مواجهة جائحة كوفيد ١٩(كورونا المستجد)، من أجل الوقوف على أهم صور المواجهة التي اتبعتها المرأة النوبية لكي تتكيف مع الأزمات المترتبة على هذه الجائحة.

ب- الأسلوب التاريخي:

« فهم أي ظاهرة في الحاضر لا يمكن أن يكتمل إلا بمعرفة تاريخها، وأن الحاضر ليس إلا نقطة انتقالية بين ماض ولى، ومستقبل آت. وأن وصفنا لأي جانب من جوانب الواقع الاجتماعي لا يمكن فهمه وتفسيره دون إدراك العمليات التاريخية التي أدت إليه. وأن مُسلَّمةً وحدة وترابط ظواهر المجتمع تفرض على الباحث ضرورة البحث عن علاقة الظاهرة التي يدرسها بغيرها من الظواهر لا في الحاضر فقط ولكن في الماضي أيضًا. لذلك إن أي بحث، مهما كان الأسلوب المتبع فيه، لا غنى له عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية بالمجتمع» (أحمد، ١٩٨٢: ١٣٣، ١٣٤). من هنا اعتمد البحث الراهن على الأسلوب التاريخي، لسرد وعرض كيفية مواجهة المرأة النوبية للجوائح عبر التاريخ، وكيفية تكيفها مع الأزمات المترتبة عليها. حيث اتجه الباحث إلى التعريف بالمجتمع النوبي وتركيبته الاجتماعية والسلالية، ثم عمل على التحقق من ثلاث قضايا تاريخية تحكمت في مسار مواجهة المرأة النوبية للجائحة والتكيف مع أزماتها وهي:

أ- الميراث الثقافي والتاريخي.

ب- الطبيعة الاحتفالية في مواجهة الأزمات.

ج- دور الهوية الجمعية في تعزيز المبادرات في النوبة.

٢- طرق البحث:

اعتمد البحث الراهن على عدة طرق منهجية في دراسة صور المواجهة وأساليب التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية، وهي: طريقتا (المقابلة المتعمقة - والملاحظة) باعتبارهما من أهم الطرق الكيفية في التعمق في أبعاد هذه الظاهرة، والاقتراب من الظاهرة لدى ممارسيها واستجلاء انطباعات وتصورات المبحوثين حول واقعهم الاجتماعي وكيفية تحسينه إلى الأفضل.

٣- مجالات البحث:

أ- مجتمع البحث:

وهو جميع المفردات التي ينطبق عليها البحث، وفي هذا البحث، هو " جميع النساء النوبيات النشيطات اللاتي كان لهن أدوارٌ بارزة في مواجهة الجائحة من جميع الطوائف النوبية"، وهي جماعة الفاديجا، وجماعة العرب، وجماعة الكنوز والقاطنة في منطقتي: نصر النوبة وكلابشة.

ب- عينة البحث:

اتساقًا مع الهدف العام للبحث، اعتمد البحث الراهن على العينة الغرضية (غير الاحتمالية) في الحصول على مفردات العينة، وفي محاولة للحصول على بيانات دقيقة حول تساؤلات البحث وتحقيق أهدافه، طبقت أداته بصورة هادفة على مجتمع متنوع الأعراق، حيث يتكون المجتمع النوبي من ثلاث جماعات عرقية (فاديجا، عرب، كنوز) لذا تطلب الأمر أن تكون العينة من بين هؤلاء النساء النشيطات اللاتي كان لهن أدوار بارزة في مجالات خدمة المجتمع والبيئة، والمشهود لهن بالانخراط في المبادرات الجمعية والعمل العام في المجتمع النوبي، وذلك بشرط أن تكون العينة ممثلة، وتعكس في الوقت نفسه التركيب الاثني للمجتمع النوبي. لذا تم اختيار عينة عمدية شملت عشر حالات من بين أولئك النساء النشيطات من الجماعات النوبية الثلاث، بحيث تمثل كل حالة قرية معينة من قرى البحث وكان توزيعهم كالآتي: جماعة الفاديجا أربع حالات من قرى (قته- الديوان – الدر – بلانة)، وجماعة العرب حالتان من قريتي (المالكي- السبوع)، وجماعة الكنوز أربع حالات من قرى (دابود- قورته- أمبركاب -دهميت). وقد تمثلت عينة البحث بالخصائص الاجتماعية الآتية:

جدول (١): توزيع مفردات عينة البحث وفقًا للخصائص الاجتماعية.

م	الخصائص	الفئة	التكرار
١	السن (العمر الزمني)	(من ٤٠ إلى أقل ٤٥)	٢
		(من ٤٦ إلى أقل ٥٠)	٦
		(من ٥١ عامًا فأكثر)	٢
٢	الحالة التعليمية	مؤهل متوسط	٢
		فوق متوسط	٤
		جامعي	٤
٣	الحالة الاجتماعية	متزوج	٨
		أرمل	٢
٤	الحالة الاقتصادية	فوق متوسطة	١
		متوسطة	٧
		دون المتوسطة	٢
٥	الحالة المهنية	عمل حكومي	٥
		مهن حرة	٢
		ربة منزل	٣

ج-النطاق الزمني:

استغرق البحث ثمانية أشهر تقريبًا، مر خلالها بمجموعة من المراحل اِبْتِدَاءً بمرحلة الإعداد وصياغة الإطار النظري، والتحضير للعمل الميداني، مرورًا بتصميم أداة البحث، ومرحلة جمع البيانات الميدانية، التي استغرقت (ستة أشهر) بدءًا من شهر مارس ٢٠٢٠ إلى نهاية شهر أغسطس٢٠٢٠. وصولًا لمرحلة تحليل البيانات، وكتابة التقرير النهائي للبحث.

٤- أدوات جمع البيانات:

أ- **دليل المقابلة المتعمقة:** إذا كان هدف البحث يتجه نحو الكشف عن بيانات تفصيلية حول حياة الأشخاص وسلوكياتهم وخبراتهم وتصوراتهم حول ما يعتنقونه من قيم أو اتجاهات، لذا تم تصميم دليل المقابلة؛ وذلك لأن المقابلة سوف تمكننا من الحصول على بيانات تفصيلية عن صور المواجهة وأساليب التكيف التي اتبعتها المرأة النوبية لكي تتخطى الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩، وقد تكون دليل المقابلة من المحاور التالية:

المحور الأول: البيانات الأساسية، والهدف منها التعرف على الخصائص الاجتماعية لعينة البحث. ويضم أسئلة تغطى بيانات السن، والحالة التعليمية، والحالة الاجتماعية، والحالة الاقتصادية، والحالة المهنية.

المحور الثاني: صور المواجهة الفردية التي اتبعتها المرأة النوبية في مواجهة جائحة كوفيد ١٩.

المحور الثالث: صور المواجهة الجمعية التي اتبعتها المرأة النوبية في مواجهة جائحة كوفيد ١٩.

المحور الرابع: صور المواجهة المجتمعية التي اتبعتها المرأة النوبية في مواجهة جائحة كوفيد ١٩.

المحور الخامس: أساليب تكيف المرأة النوبية مع الأزمات الاقتصادية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩.

المحور السادس: أساليب تكيف المرأة النوبية مع الأزمات الاجتماعية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩.

المحور السابع: أساليب تكيف المرأة النوبية مع الأزمات الصحية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩.

ب- دليل الملاحظة: تمت الاستعانة بدليل الملاحظة لتدعيم المعطيات الميدانية التي تم جمعها بواسطة دليل المقابلة المتعمقة، وإضافة حقائق جديدة حول موضوع البحث قد تكون أُغفِلت من قبل هذا الدليل.

هذا وقد تكون دليل الملاحظة من المحاور التالية:

المحور الأول: مدى الالتزام بأدوات المواجهة الفردية في المجتمع النوبي (التباعد المكاني في مناشط الحياة اليومية - مدى الاهتمام بنظافة الشوارع والمنازل).

المحور الثاني: المواجهة الجمعية (الندوات التثقيفية التي تقام - مدى حرص المواطنين النوبيين على حضورها - واجبات العزاء كيف تتم - مراسم أفراحهم في ظل انتشار الجائحة).

المحور الثالث: المواجهة المجتمعية (طرق إحيائهم لتراثهم الثقافي المتوارث عن الأجداد في مواجهة للجائحة - مدى اهتمامهم به - مدى اهتمامهم بترديد الأمثال الشعبية أوقات انتشار الجوائح).

المحور الرابع: رصد مواقف تكيف المرأة النوبية مع الأزمات الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية المترتبة على انتشار الجائحة، مع رصد أساليب تعبيرهم عن التكيف مع هذه الأزمات.

٥- أسلوب تحليل البيانات ومعالجتها:

اعتمدت هذا البحث على التحليل الكيفي وذلك وفقًا لنوعية البيانات التي جمعها الباحث وهى بيانات كيفية، تتميز بأنها تعبر عما في أعماق الشخص، وأنها مباشرة، وتوافرت فيها درجة من التلقائية. وقد قام الباحث بإعطاء الحرية للمبحوثين في الاسترسال بتفاصيل قد تكون مهمة، حتى يصل الباحث إلى درجة من التعمق، وجمع البيانات التفصيلية من المبحوثين. وبعد أن جمع الباحث بياناته قام بتفريغ هذه البيانات، وتصنيفها وفقًا لمحاور البحث وأهدافه، ثم بدأ في قراءة هذه البيانات

أكثر من مرة بهدف الوصول إلى خلق حالة من الفهم بينه وبين هذه النصوص التي وردت عن المبحوثين، ثم بعد ذلك بدأت محاولة تفسير هذه البيانات من خلال إلقاء الضوء عليها، وتوضيح ما تم استخلاصه منها، والكشف عن الدلالات المختلفة التي حملتها هذه البيانات.

وقد اعتمد الباحث في عملية تفسير البيانات على ثلاث آليات هي:

الآلية الأولى: الربط بين الإطار التصوري للبحث والمادة الإمبيريقية التي تم جمعها، أي شرح المادة في ضوء تساؤلات البحث ومنطلقاته النظرية التي بدأ منها.

الآلية الثانية: الربط أحيانًا بين نتائج البحث الراهن، وبعض النتائج التي توصل إليها باحثون آخرون، أي محاولة تأسيس نتائج البحث على قاعدة من نتائج البحوث الأخرى.

الآلية الثالثة: تتمثل في التفسير البنائي، حيث يتم إحالة تفسير بعض نتائج البحث على ضوء سمات البناء الاجتماعي لمجتمع البحث.

سابعًا- خصائص مجتمع البحث:

يبلغ عدد سكان قرى البحث ٣١,١٤١ نسمة حسب تعداد ٢٠١٥ [*1] (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمحافظة أسوان، ٢٠١٥) موزعة على ثلاث جماعات نوبية هي: جماعة الفاديجا، وجماعة الكنوز، وجماعة العرب. ويتسم حجم السكان بين الجماعات الثلاث بعدم التقارب. حيث تضم جماعة الفاديجا أربع قرى هي: (قته–الديوان– الدر– بلانة) بعدد سكان ٢٠,٦٥٣ نسمة بنسبة ٦٦,٣٪ من حجم سكان مجتمع البحث. كما تضم جماعة الكنوز أربع قرى (دابود– قورته– أمبركاب– دهميت) بعدد سكان ٧,٢٢٢ نسمة بنسبة ٢٣,٢٪ من حجم سكان مجتمع البحث. وجماعة العرب تضم قريتى (المالكي–السبوع) بعدد سكان ٣,٢٦٦

(*) تم الاعتماد على بيانات تعداد ٢٠١٥ في تحليل خصائص مجتمع البحث.

نسمة بنسبة ١٠,٥٪ من حجم سكان مجتمع البحث. وبتحليل التركيب النوعي لمجمع البحث، اتضح أن هناك تباينًا في حجم الذكور والإناث عند الجماعات النوبية الثلاث – محل البحث- كما يختلف هذا التباين من جماعة إلى أخرى، حيث نجد أقل نسبة لهذا التباين عند قرى جماعة الفاديجا، فالتركيب النوعي لهذه القرى يتسم بالتقارب بين نسبة الذكور والإناث، حيث تبلغ نسبة الذكور ٤٧,٨٪ من السكان، في مقابل ذلك تصل نسبة الإناث إلى ٥٢,٢٪ من السكان، ويميل التركيب العمري إلى الاتساع في الفئة العمرية الأصغر سنًا (الأطفال) حتى سن ١٥ سنة. أما التركيب النوعي في قرى جماعة الكنوز، فالتقارب بين الذكور والإناث نجده ينخفض قليلاً إذا ما قورن بنسبة التقارب في القرى التابعة لجماعة الفاديجا، حيث نجد نسبة الإناث تتسع قليلاً حيث تبلغ نسبتهن ٥٥,٣٪ من السكان، في مقابل ذلك تصل نسبة الذكور إلى ٤٤,٧٪ من السكان. ويميل أيضاً التركيب العمري إلى الاتساع في الفئة العمرية الأصغر سنًا (الأطفال) حتى سن ١٥ سنة. وبالانتقال إلى تحليل التركيب النوعي لقرى جماعة العرب نجده يواصل الانخفاض في التقارب بين نسبة الذكور والإناث إذا ما قورنت بالقرى التابعة لجماعتي الفاديجا والكنوز، حيث نجد نسبة الإناث تزداد قليلاً عن نسبتهن في القرى التابعة للجماعتين السابقتين، حيث تبلغ نسبة الإناث ٥٨,٥٪ من السكان، في مقابل ذلك تصل نسبة الذكور إلى ٤١,٥٪ من السكان. ويميل أيضًا التركيب العمري إلى الاتساع في الفئة العمرية الأصغر سنًا (الأطفال) حتى سن ١٥ سنة.

وتشير بيانات الحالة التعليمية إلى ارتفاع المستوى التعليمي لغالبية سكان القرى محل البحث، حيث تقل نسبة الأمية ليصل متوسط نسبتها إلى ٢٠.٢٪ في قرى البحث، كما تتركز الغالبية العظمى من هذه النسبة في فئة النساء كبيرات السن، وتبلغ نسبة من يجيدون القراءة والكتابة ١٠.٨٪ من إجمالي سكان قرى البحث، وترتفع قليلاً نسبة الحاصلين على الشهادات الابتدائية والإعدادية لتصل إلى ١٥.٦٪ من إجمالي سكان مجتمع البحث، أما نسبة الحاصلين على مؤهل متوسط نجدها أعلى النسب في مستويات التعليم في قرى البحث؛ إذ تصل نسبتها

إلى ٤٥.٤٪. ويميل المنحنى التعليمي إلى الانخفاض في مستويي التعليم فوق المتوسط والجامعي؛ حيث تصل النسبة إلى ٦.٩٪. ويواصل المنحنى التعليمي في الانخفاض في التعليم فوق الجامعي إذ تصل نسبته في قرى البحث إلى ١.١٪. كما تشير تحليلات بيانات الحالة التعليمية في قرى البحث إلى التقارب في التركيب النوعي بين نسبة الذكور والإناث في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، حيث تمثل نسبة الذكور في المرحلة الابتدائية ٥٠.٨٪، بينما تمثل نسبة الإناث ٤٩.٢٪. أما في مرحلة الإعدادية نجد نسبة الذكور تصل إلى ٤٨.٦٪ بينما تصل نسبة الإناث إلى ٥١.٤٪. أما في مرحلة التعليم الثانوي العام فنجد انخفاضًا في نسبة التقارب بين الذكور والإناث، حيث تصل نسبة الإناث إلى ٥٦.٣٪ بينما نسبة الذكور تصل إلى ٤٣.٧٪. أما التعليم الثانوي الفني فنجد التركيب النوعي يتسم بالتباعد بين نسبة الذكور والإناث، حيث ترتفع نسبة الذكور لتصل إلى ٦٦.٦٪، بينما نجد نسبة الإناث تصل إلى ٣٣.٤٪. وبالانتقال إلى الملامح الاقتصادية لقرى البحث نجد أن من السمات الغالبة على الأنشطة الاقتصادية هي النشاط الزراعي، حيث تصل نسبة من يعملون بهذه المهنة إلى ٣١.٣٪، إضافةً إلى مهن حرة أخرى كالمحاماة والتجارة والصناعات اليدوية البسيطة وغيرها من المهن الحرة الأخرى إذ تبلغ نسبتهم ٢٥٪، بينما تبلغ نسبة من يعملون في الوظائف الحكومية وشركات القطاع العام ٤٤.٧٪.

ثامنًا- مناقشة نتائج البحث وتحليلها:

١- صور المواجهة النسائية لجائحة كوفيد ١٩ في المجتمع النوبي بمصر:

اعتمد البحث الراهن على تصميم عدة تساؤلات نسعى للإجابة عنها، من خلال منهجية تعتمد على وصف تجارب بعض السيدات النوبيات الناشطات في مواجهتهن لجائحة كوفيد ١٩، حيث كان التساؤل الرئيس الذي وضعه الباحث هو:

ما صور مواجهة المرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩ ؟

ومن ثمَّ قام الباحث بتحديد التساؤلات ومحاولة الإجابة عنها كما يلي:

أ- ما صور المواجهة الفردية للمرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩ ؟

ب- ما صور المواجهة الجمعية للمرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩ ؟

ج- ما صور المواجهة المجتمعية للمرأة النوبية لجائحة كوفيد ١٩ ؟

أ- صور المواجهة الفردية:

حاول الباحث في هذا المستوى تناول صور المواجهة الفردية من حيث: ارتداء الكمامة والقفازين- التباعد المكاني- النظافة ونظافة المكان (استخدام الكحول والمطهرات بصفة مستمرة)- العزل المنزلي الطوعي. وقد كشفت الشواهد الميدانية عن اهتمام بعض النساء في القرى – محل البحث- بمواجهة الجائحة، والاستعداد لما سيترتب عليها من تداعيات، بمجرد السماع بها عالميًا، وعدم الانتظار لحين تفشيها داخل مجتمعهن. الأمر الذي يعكس وعيًا اجتماعيًا مبكرًا لديهن بخطورة الجائحة وما سيترتب عليها من أزمات، حيث أكدت إحدى المبحوثات "احنا ما أستنيناش لما الجائحة تاجي عندينا، أحنا أخدنا خطوة استباقية بدأنا نعمل توعية، نعمل حظر، قبل ما تدخل".

لذا نجد أن طول مدة الجائحة، واستمرارها، وعدم وجود أفق قريب للتخلص النهائي منها قد واجه مجتمعًا يتسم بالتماسك الاجتماعي، فالبنية الاجتماعية لمجتمع البحث وخصائصه لعبت دورًا متميزًا في تحديد خصائص وصور مواجهة الجائحة، فقد تكون المواجهة في مجتمع تعتمد على النيل من المصابين أو المعرضين للإصابة بالوصم الاجتماعي، وهو الأمر الذي نفاه البحث الميداني، حيث عبرت حالات البحث عن وصف دقيق للمواجهة الفردية، ويظهر ذلك من خلال العديد من النماذج التي قدمتها بعض النساء الناشطات في إدارة الأزمة، حيث تم رصد ثمة مبادرات لتحفيز أدوات المواجهة الفردية عبر الأفعال الجمعية لمواجهة الجائحة، من خلال إبراز دور الجمعيات النسائية النوبية – في مجتمع البحث- برفع شعار "كمامة لكل مواطن نوبي"، بعد أن تبنت مبادرة لتوزيع عدد كبير من الكمامات على المواطنين النوبيين غير المقتدرين بالمجان، وتجهيز المادة

الخام للكمامة وتفصيلها يدويًا داخل مقر الاتحاد النوبي بمحافظة أسوان، وذلك لمواجهة انتشار جائحة كوفيد ١٩.

صورة رقم (١-١): توضح المرأة النوبية أثناء إعدادها للكمامات المجانية داخل مقر الاتحاد النوبي بمحافظة أسوان(*)

وقد لاحظ الباحث من خلال البحث الميداني عند رصد صور المواجهة الفردية، عزوف الكثير من أبناء المجتمع – محل البحث– خاصةً فئة الشباب عن ارتداء الكمامة في التفاعلات الاجتماعية المعتادة، فبالرغم من اقتناء الكثير منهم للكمامة إلا أن استعمالها كان محدودًا، وهذا الأمر لا يقتصر وجوده في مجتمع البحث، بل نواجهه في التفاعلات اليومية في أماكن عديدة. ومن خلال الملاحظات تبين – أيضًا– وجود إدانة واضحة لتلك الممارسات الخاطئة حيث قدمت النساء –

(*) تم الحصول على هذه الصورة بطلب من الباحث من إحدى المبحوثات بتزويده بالصور الخاصة بإعداد الكمامات المجانية من قِبَل بعض النساء، وأن الباحث سينشرها في البحث، وتم التأكد من قِبَل الباحث بأن المبحوثات اللاتي ظهرن في الصور ليس لديهن مانع من نشرها في هذا البحث.

عينة البحث– صورًا واضحة لشجب تلك الممارسات وذلك رغم الجهود التي يبذلونها عبر جمعياتهم ونشاطاتهم المجتمعية للتحذير من مخاطر الجائحة. وما يؤكد ذلك بعض النصائح التي وردت على لسان إحدى المبحوثات "لو عاوز تحافظ على أهلك وحبايبك التزم بالإجراءات الاحترازية".

ومن أبرز صور المواجهة الفردية (التباعد المكاني) والذي لم يرتبط في صور مواجهة الجائحة بأي محاولات للوصم، أو استبعاد المصابين بها، فمواجهة الجائحة اعتمد على الأفعال الجمعية التي قامت بدورها في تحفيز أدوات المواجهة الفردية، من خلال تطبيق سياسة التباعد المكاني في مناشط الحياة المعيشية(*).

ومن صور المواجهة الفردية – أيضًا– (العزل المنزلي الطوعي)، حيث حرصت العديد من النساء في مجتمع البحث على تنفيذ سياسة العزل المنزلي، حتى تقل فرصة الاختلاط والتي قد تكون أحد العوامل الرئيسة المسببة لانتشار الجائحة. حيث تؤكد إحدى حالات البحث "أن النوبيين عندهم وعي بكل حاجة وعندهم وعي بكيفية التعامل مع الجائحة ودا اتورثناه من أيام أجدادنا ". وتؤكد حالة أخرى على " إحنا خروجنا من البيت دايمًا يكون بحرص". وفي نفس السياق، تؤكد إحدى الحالات على حرصهن الشديد في تنفيذ سياسة العزل المنزلي وخاصة للأطفال. "الأطفال ميخرجوش إطلاقا من البيت تحت أي ظرف لأن وارد جدًا ياخدوا العدوى وميبانش عليهم أي اعراض".

وعلى المستوى النظافة ونظافة المكان (استخدام الكحول والمطهرات بصفة مستمرة)، كشفت المقابلات الميدانية، عن الدور المتميز الذي لعبته المرأة في مجتمع البحث لمواجهة الجائحة، حيث تقوم بنظافة منزلها، والجزء الذي أمام المنزل من شارعها، وهذه ظاهرة لافتة للنظر نادرًا ما نجدها في مكان آخر، حيث أكدت

(*) هناك عدة إجراءات تم القيام بها في مجتمع البحث عملت على تطبيق سياسة التباعد المكاني في مناشط الحياة المعيشية سوف ترد تفصيليًا في الجزء الخاص بأساليب التكيف مع الأزمات الاجتماعية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩من هذا البحث.

إحدى المبحوثات على "أن المرأة أول ما تصحى في الصبح تطلع عشان تطمن على نظافة الشارع أمام بيتها"، كما أكدت الشواهد الميدانية على أن النظافة هي العنوان الأول لبيوتهن، حيث تقوم المرأة بتوزيع المباخر على الغرف، وتضع فيها أنواع البخور الذي تتميز به النوبة، وفي ظل الظروف الراهنة لانتشار جائحة كوفيد ١٩ نجد العديد من النساء في مجتمع البحث حرصن على تطهير وتعقيم منازلهن بالمواد المطهرة لمواجهة الجائحة. إلا أن الشواهد الميدانية أظهرت أن هناك علاقة بين عدد مرات الالتزام بالتطهير اليومي، وكذلك أنواع المطهرات والظروف المعيشية، فتدني الظروف المعيشية قد يؤدي إلى الحد من مرات التعقيم والتطهير، حيث تؤكد إحدى المبحوثات " إحنا حريصين على تطهير وتعقيم بيوتنا لكن كل واحد وحسب مقدرته في ناس ممكن تتطهر وتعقم كل يوم وفي ناس ممكن ظروفها تخليها تستخدم بدائل تؤدى غرض المطهرات".

صورة رقم (٢-١): توضح توضح مدى الاهتمام بالنظافة في مجتمع البحث

ب- صور المواجهة الجمعية:

حاول الباحث في هذا المستوى تناول صور المواجهة الجمعية من حيث:

- الحد من المناسبات والزيارات والتفاعل الاجتماعي (خليك في البيت):

شهدت المواجهة الجمعية للجائحة -كما تجلى ذلك من خلال تحليل نصوص المقابلات المتعمقة- تعاونًا لافتاً بين الذكور والإناث في مجتمع البحث، حيث كان من السهل التواصل بينهم من أجل التنسيق لتعزيز واستمرار صور المواجهة

الجمعية للجائحة، ومثلت مبادرة جمعية القلوب الرحيمة –في إحدى القرى– نموذجًا لتلك المواجهة، حيث تضمنت هذه المبادرة البنود الآتية: تجنب التجمعات والاختلاط وذلك من خلال منع الزيارات في حالات المرض، وواجب العزاء يجب اقتصاره على المقابر، وتقليل المشاركات الاجتماعية في المناسبات والاكتفاء بالاتصال التليفوني في كل هذه الأمور. وقد شكل ذلك وثيقة ملزمة للأسر في تلك القرية – وكذلك بعض القرى الأخرى التي عملت على الاقتداء بهذه الوثيقة– وبشكل لا يمكن مخالفته، وتعكس تلك الصور الجمعية للمواجهة طبيعة البنية الاجتماعية لمجتمع البحث، حيث عملت العلاقات القرابية والإثنية والمستويات العالية من التضامن والترابط الاجتماعي، وكذا الهرمية السلطوية لكبار السن وبعض القيادات النسائية والذكورية على تعزيز المواجهة الجمعية.

بسم الله الرحمن الرحيم
قال تعالى (تعاونو على البر و التقوى و لا تعاونو على الاثم و العدوان) صدق الله العظيم
بداية نشكر جمعية القلوب الرحيمة بقريتنا للمبادرة
بعدة قرارات و من اهمها واجب العزاء فى المقابر
و ال محصلش يبقى تلفونيا....الأمراض..ممنوع الزيارات
فى منزل المريض و يستكفى الاتصال تلفونيا
هذا مع البعد الاجتماعى و تقليل المشاركات الاجتماعية
فى مناسباتنا......طبعا نحن ك سيدات قرية قتة نعلم
جيدا هذه القرارات لانه فى مصلحة المجتمع كله
يعنى لا ضرر و لا ضرار.....فنحن باذن من الرحمن
نؤيد و نؤكد على هذه المبادرة ....بارك الله فيكم
لكن لنا رجاء من اصحاب الواجب المبادرة بالسماح
و العفو لمن ترغب العمل بالقرارات
و نأمل منكم يا رجال القرية انتم من وضعتو هذه

القرارات على أن يسير بكم اولا لأنكم انتم فى الصفوف الاولى. و نحن خلفكم ....
ف كلكم راع و كل مسؤل عن رعيته .
الراجل راع فى بيته و مسؤل عن رعيته
نتمنى من الجميع الالتزام و ربنا يرفع البلاء و الغمة
.....مع تحيات اسرة الجمعية

صورة رقم (٣-١): توضح مبادرة الحد من الزيارات والمناسبات في قرية قته

ومن الصور المهمة للمواجهة الجمعية دعوة (الزم بيتك) ودعوة (معًا لخلو نصر النوبة من الكورونا) كدعوات للمواجهة الجمعية الاحترازية، وقد تمت تلك الدعوات عبر الجمعيات النسائية النوبية وصفحاتها المختلفة على مواقع التواصل الاجتماعي، ومن هذه الدعوات:

"كل راجل في البلد يِقعد نسائه في المنزل" – "بدون عتب ولا زعل كل واحد يلزم بيته"– زيارتكم للمرضي بتضرهم وتضركم " – "وجودك في البيت طول الوقت صمام أمان ليك وأسرتك" – "لو بتحب أهلك أبقى في منزلك " "مفيش حد غريب كلنا بتوع بعض وقلوبنا على بعض" .

ومن صور المواجهة الجمعية الأخرى، كان استخدام الخطاب الديني واضحًا من أجل التحفيز على الأخذ بالمواجهة الجمعية، حيث قامت بعض النساء عبر مواقع التواصل الاجتماعي بالاستعانة بآيات القرآن الكريم لحث الأفراد على الالتزام وتنفيذ دعوة (الزم بيتك)، حيث اتخذت إحداهن من الآية رقم (١٨) من سورة النمل ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْل قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وسيلة للحث على المكوث في المنزل كسياسة احترازية للوقاية من الفيروس. حيث دونت إحدى السيدات عبر مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بالجماعات النوبية. "إلى جميع الأهل والأقارب في كل القرى والأمصار خلونا نكون زي النمل، يحذر بعضنا البعض، من هذا الفيروس " ولقد أكدت الشواهد الميدانية أن هذه الدعوات لاقت قبولاً لدى مجتمع البحث، مما أدى إلى التزام العديد من الأفراد في مجتمع البحث بالمكوث في المنزل.

- نشر الوعى بطرق مواجهة الجائحة:

أكدت الشواهد الميدانية على أن بعض القيادات النسائية في مجتمع البحث عملت على تفعيل المبادرات الجمعية، حيث قامت تلك القيادات بتنظيم العديد من الندوات التثقيفية والتي يحاضر فيها أهل الخبرة والتخصص، من أجل المساهمة في رفع درجة الوعي بكيفية اتباع الإجراءات الاحترازية التي تمنع انتشار الجائحة، والإجراءات السليمة في التعامل معها في حال حدوثها، من أجل مواجهتها بطرق علمية سليمة. ويتم ذلك لدى كافة الشرائح العمرية مع التركيز على فئة النساء؛ لأن المرأة هي التي يقع على عاتقها المسئولية المباشرة في توفير السلامة الصحية لأعضاء الأسرة من مأكل ومشرب وملبس ونظافة. لذا حرصت بعض النساء في مجتمع البحث على نشر الوعي فيما بينهن وخاصة عند قدوم المناسبات، حيث تؤكد إحدى حالات البحث "أحنا حرصنا أثناء المعايدة في المناسبات على توعية بعض بمخاطر الكورونا".

صورة رقم (٤-١): توضح الندوات التثقيفية التي نظمتها القيادات النسائية النوبية للتوعية بكيفية التعامل مع جائحة كوفيد ١٩(*)

- **التواصل الجمعي مع الهيئات التنفيذية:**

كشفت وقائع المقابلات الميدانية، أن النساء النشيطات في مجتمع البحث كانت لهن أدوار فعالة في التواصل مع الهيئات التنفيذية من أجل مواجهة الجائحة، حيث تمكنت عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي من حث الأفراد بتوحيدهم على أفعال جمعية مشتركة، ومن ثم شهدنا صورًا فعالة للمواجهة الجمعية، فبعض القيادات النسائية بدأن عبر جريدة صوت النوبة تقديم صور جمعية للمواجهة، تعكس مطالبهن بتخفيف العبء والضغط على العاملين في الخط الأول لمواجهة الجائحة في مستشفيات العزل، وذلك نظرًا لتضرر العاملين في

(*) تم الحصول على هذه الصور بطلب من الباحث من إحدى المبحوثات بتزويده بالصور الخاصة بالندوات التثقيفية التي نظمتها القيادات النسائية للتوعية بكيفية التعامل مع جائحة كوفيد ١٩ ، وأن الباحث سينشرها في البحث، وتم التأكد من قِبَل الباحث بأن المبحوثات اللاتي ظهرن في الصور ليس لديهن مانع من نشرها في هذا البحث

الخط الأول لمواجهة الجائحة من الأطباء والممرضين للإصابة؛ والوفاة؛ نتيجةً للتصدي لفيروس كورونا. وأثمرت جهود المواجهة الجمعية عن استجابات واضحة وعديدة لبعض مسئولي الدولة، فتؤكد إحدى حالات البحث "شكوانا في الجريدة لاقت استجابة فورية من القيادات الرسمية".

ج- صور المواجهة المجتمعية:

- مواجهة الجائحة عبر إعادة الإنتاج الثقافي:

من أهم المفاهيم التي تفاعل معها البحث الراهن كان مفهوم إعادة إنتاج التراث الثقافي، وهو مفهوم ذو دلالة كبيرة خاصة عند تعرضنا لدراسة الجماعة النوبية، حيث تعمل تلك الجماعة على الاحتفاظ بهويتها الثقافية وإعادة إنتاج قيم وممارسات الآباء والأجداد، وإن كانت في صور جديدة. ومن الممكن أن نكشف بوضوح عن تلك الممارسات أثناء مواجهة التحديات والأزمات الطارئة عند دراسة هذا التراث. حيث يعد « التراث هو المخزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال، وأنه الأرضية المؤثرة في تصورات الناس وسلوكهم»(الجوهري، ٢٠٠٦: ١٠٢). لذلك نجد خلال فترات الأزمات بصفة عامة وأوقات انتشار أية جائحة، لا يعلم الأفراد كيفية التعامل معها، أو مع تبعاتها، مما يدفعهم للنظر إلى كيف كان الأجداد يواجهونها ويتكيفون مع أزماتها؟ «ويقصد بإعادة الإنتاج الثقافي بمعناه الواسع: بأنه قدرة أساليب الحياة في أي مجتمع على استمرار أهم ملامحها عبر التغير. وهذا يعني أن انتقال العناصر الثقافية الشعبية رأسيًا وأفقيًا عبر الأجيال، من خلال التواصل الإنساني لا يعني استنساخًا كاملاً وحرفيًا لكل ملامحها، ولا يعني أيضًا فناءها واستبدالها كليًا بعناصر أخرى جديدة. فالبشر يواجهون الحياة بما لديهم من موروثات ثقافية، وبهذه الموروثات ومعها يغيرون حياتهم ويتغيرون»(المصري، ٢٠١٢: ١٩).

«فالتراث كيان متغير وغير ثابت أو(جامد)، وله طابع إعادة الإنتاج وإعادة التوظيف بشكل دائم لا يتوقف» (الجوهري،٢٠٠٦: ٩٩). كما أن «هذا التغير لا

يمكن أن يقضي على التراث الشعبي. فهذا التراث بما يتمتع به من مرونة وقدرة على إعادة التكيف مع كل ظرف إنساني جديد، يستطيع أن يحفظ ويبقي على عناصره ويحقق لها الاستمرار» (الجوهري،٢٠٠٧: ١١). «وهذا يعنى أننا أمام عمليات يمكن تفسيرها باستخدام مفهوم إعادة الإنتاج الثقافي» (المصري، ٢٠١٢: ١٩).

حيث نستطيع القول: «إنه يمكن تفسير مضمون عمليات إعادة الإنتاج الثقافي وفقًا لمفهومي الإنتاج الثقافي، والتداول الثقافي، فالإنتاج الثقافي يقصد به العمليات المركبة التي تنطوي على ممارسة دائمة للتراث، بحيث يظل حيًا بين أعضاء جماعة من الناس وماثلاً في ذاكرتهم الجمعية، ولا يعني ذلك ثباتًا مطلقًا أو تغييرًا كاملاً لعناصر التراث، وإنما ممارسات متجددة ودائمة للعناصر التراثية، وبهذا المعنى تصبح كل ممارسة للتراث الشعبي إنتاجًا جيدًا له. وتتجلى عمليات الإنتاج الثقافي في مظاهر عديدة أهمها تواتر استخدام العناصر التراثية واستعادتها وإعادة تفسيرها، ومحاولات خلق تنويعات متعددة لممارستها. أما التداول الثقافي فهو الإطار الذي تُمارس بمقتضاه العناصر التراثية في حلقات متصلة يشارك فيها كثير من الناس» (المصري، ٢٠١٢: ٤٠،٤١).

وبناءً على ذلك فقد عمل البحث الراهن على تبني التصور الذي قدمه سعيد المصري حول مفهوم إعادة الإنتاج الثقافي من أجل رصد عمليات إعادة الإنتاج للثقافة الشعبية للجماعة النوبية في مواجهة جائحة كوفيد ١٩، وذلك بالتطبيق على أبرز عناصر التراث الثقافي الشعبي للجماعات النوبية ممارسة في مواجهة الأزمة الراهنة ألا وهو طقس " الكرامة أرجيه" «وقد تم تحديد إعادة إنتاج الثقافة الشعبية لهذا الطقس في عمليتين رئيستين هما:

العملية الأولى: تواتر العناصر التراثية.

العملية الثانية: استعادة التراث.

العملية الأولى: تواتر العناصر التراثية بالتطبيق على طقس "الكرامة أرجيه":

«يقصد بالتواتر انتظام ممارسة العناصر التراثية في أساليب الحياة على نحو

متكرر، فتكرار الممارسات التراثية على نحو معين ومستمر يعبر عن الحضور المكثف للتراث في الحياة اليومية» (المصري، ٢٠١٢: ١٦٧).

ولهذا تم اختيار طقس – الكرامة أرجيه– دون غيره من بين مختلف عناصر التراث الشعبي، كمجال لتحليل عملية التواتر؛ لأن هذا الطقس كان من أبرز العناصر التراثية تكرارًا وممارسةً أثناء انتشار جائحة كوفيد ١٩.

فالكرامة أرجيه: هي عادة متعارف عليها بين النوبيين في مصر والسودان منذ قديم الزمان، متوارثة عن الأجداد في أوقات البلاء والمكروه. حيث يُلزم الأهالي بإعداد الطعام كل حسب قدرته لإطعام الناس تقربًا إلى الله، وابتهالاً لرفع البلاء عن العباد والبلاد. فهي نوع من الطعام، يتم إعداده عن طريق طهو سبعة أنواع من الحبوب في إناء واحد، هذه الحبوب مثل: الفول واللوبيا والذرة الرفيعة والذرة الشامي والبسلة والفاصوليا الحمراء، والقمح. وتوزع على المارة في الشارع وخصوصًا الأطفال، وتخرج في وقت واحد، ويتم تناولها بشكل جماعي، بهدف أن ينال الجميع الأجر والثواب لرفع البلاء والغمة والأمراض عن العباد والبلاد.

ومن هذا المنطلق فإن هناك آليات تتم بموجبها عملية تواتر التراث في طقس "الكرامة أرجيه" وهي: «الإعلان، والممارسة» (عثمان،٢٠٢٠: ٣٥). «وتوظيف العلاقات التضامنية، والشعور بالرضا»(المصري، ٢٠١٢: ١٦٩).

أ- الإعلان:

«فالإعلان قد يكون قولاً شفهيًا يتم من خلال الحكي» (عثمان،٢٠٢٠: ٣٥). عن الفوائد التي يجنيها الفرد والمجتمع من وراء ممارسة هذا الطقس. فترديد أفراد المجتمع لهذه الفوائد عمل على تواتر هذا الموروث الثقافي بين أفراده. فعلى سبيل المثال تؤكد إحدى المبحوثات "أنها حينما كانت طفلة صغيرة، وأصيبت بوعكة صحية، أدت لارتفاع في درجة حرارتها، استمر لعدة أيام، فقام الأهل بطهو الأكلة، بعدها تم شفاؤها" .

ب-الممارسة:

والجدير بالذكر، إن قيام بعض الأشخاص في المجتمع - محل البحث- بممارسة هذا الطقس «هو بمثابة زرع للتراث وعمل على نشره بين فئات جديدة» (الجوهري، ٢٠١٠: ٣٣١). فالربط بين ممارسة هذا الطقس، وبين النجاة من كل كرب، عمل على تواتر ممارسته. وهذا ما أكدته إحدى المبحوثات " أن تلك الأكلة مُنجية ومانعة للشرور". وهذا ما أظهرته الشواهد الميدانية عن ممارسات هذا الطقس -الكرامة أرجيه- من أجل مواجهة جائحة كوفيد ١٩ في أماكن متعددة من المجتمع محل البحث.

صورة رقم (٥-١): توضح تعدد أماكن ممارسة طقس "الكرامة أرجيه" لمواجهة جائحة كوفيد ١٩ في مجتمع البحث(*)

(*) تم الحصول على هذه الصور بطلب من الباحث من المبحوثات بتزويده بالصور حول ممارسة طقس "الكرامة أرجيه، وأن الباحث سينشرها في البحث، وتم التأكد من قِبَل الباحث بأن المبحوثات اللاتي ظهرن في الصور ليس لديهن مانع من نشرها في هذا البحث.

ج-توظيف العلاقات التضامنية:

تشير الشواهد الميدانية إلى كثافة عمليات التضامن الجمعي في المجتمع محل البحث، حيث كشفت عن عمليات التضامن والتجمع معًا لممارسة الطقوس، فممارسة طقس "الكرامة أرجيه" في مواجهة جائحة كوفيد ١٩ لا تتم بشكل منفرد، بل كانت تتم بشكل جمعي من خلال تعاون النساء -في مجتمع البحث- مع بعضهن البعض، فعلاقات الجيرة القوية لعبت دورًا فعالًا في تدعيم علاقات التعاون في تواتر هذا الطقس. حيث كان الجيران من النساء يتجمعن ويضعن آنية الطهو في الشارع القاطنين به، وفي كل شارع تتجمع النساء ويشتركن مع بعضهن البعض لعمل "الكرامة أرجيه"، فكل سيدة تعمل على إحضار ما تستطيع إحضاره من الغلة سواء أكان قمحا، أو ذرة، أو فولا، أو اللوبيا، أو بسلة، أو فاصوليا حمراء، ويتم وضع ذلك في آنية الطهو، مع وضع كمية مناسبة من الماء بعد تجميع الغلال وغسلها جيدًا، ثم إشعال النار من تحتها بواسطة بوتاجاز سطحي مصمم خصيصًا لذلك. ثم تبدأ إحداهن بتقليب محتويات الإناء من الغلال إلى أن يتم طهو الطعام.

وذلك تبركًا بهذا الطعام واعتباره علاجًا، أو وقاية من الإصابة بالعدوى، وهو أمر يشرح الطبيعية التضامنية في صورتها الاحتفالية في مواجهة جائحة كوفيد ١٩، وكما قالت إحدى المبحوثات: " الكرامة ارجيه دى مناسبة بنخفف فيها من ألم بعض" وهذا الأمر يشير إلى مقدار حدوث التماثل الاجتماعي والثقافي لدى السكان، حيث يخلق هذا السلوك التضامني تماثلاً في أطعمة محددة يتم استخدامها جمعيًا في مواجهة الجائحة. وكما تشير إحدى المبحوثات "احنا بنشارك بعض الأكل علشان يبقى مناعة لينا كلنا ". وقد لاحظ الباحث أن ثمة اختلافا واضحا في عمليات مواجهة جائحة كوفيد ١٩ في المجتمع النوبي عنه في المجتمعات الأخرى، والتي منها المجتمع الذي يعيش فيه الباحث شخصيًا، ففي القرية التي يعيش فيها الباحث بالرغم من التركيب القبلى – قبيلة الجعافرة – للمجتمع، كان التعاطي مع تلك الأزمة يتم عبر مجهودات فردية خالصة من دون محاولات لإحياء أية هوية جمعية تنطلق

منها تلك المحاولات، بينما عندما انتقل الباحث إلى مجتمع البحث (المجتمع النوبي) لاحظ نشاطًا واضحًا يتم عبر مجموعة من السيدات الناشطات في بعض القرى النوبية، والذي يشهد ارتباطًا بين الهوية الجمعية والممارسات التقليدية في مواجهة الجائحة، إضافة إلى أعمال مؤسسية تنظم الحياة اليومية، وتكون بديلا عن المجهودات الفردية المتفرقة، أو كما قالت إحدى المبحوثات " إحنا مجتمع مختلف مينفعش نسيب بعض في مواجهة تلك الأزمة " حيث تشرح تلك العبارة عمليات التضامن الجمعي المستند إلى الهوية والميراث الثقافي بشكل واضح.

د- الشعور بالرضا:

«تسهم آلية الشعور بالرضا في تواتر معاني وممارسات تراثية»(المصري، ٢٠١٢: ١٦٩).

ويستخدم الناس الشعور بالرضا في مواجهة أزماتهم الاجتماعية وذلك عبر «العمل على إضفاء طابع إيجابي على بعض جوانب الحياة اليومية» (المصري، ٢٠١٢: ٢٥٦). وهو الأمر الذي تحقق عبر طقس "الكرامة أرجيه" في المجتمع محل البحث، فثمة تواتر واضح في نقل تلك الطقوس، وهذا الأمر يتفق مع الصورة العاطفية لمواجهة الجائحة، حيث أشرنا سابقًا – في التصور النظري للبحث- إلى أن تراث المواجهة يميل إلى الحديث عن المواجهة باعتبارها ممثلةً في: المواجهة القائمة على تقديم حلول إجرائية للمشكلات، والمواجهة القائمة على إدارة العاطفة، حيث يستخدم الأفراد صورًا للمواجهة العاطفية التي تعتمد على ضبط الحالة الانفعالية لتعزيز عملية الثبات الانفعالي، والرضا عن الذات طالما أنه لا يمكن له القيام بشيء آخر للتصدي للجائحة.

ويتحقق الشعور بالرضا في مواجهة الجائحة – لدى مجتمع البحث- من خلال المشاركة في إعداد طقس "الكرامة أرجيه"، فما يلبث أن يبدأ تصاعد البخار من الإناء يتجمع النسوة حول إناء الطهو ويبدأن بترديد الأدعية التي تجلب لهم الشعور الجمعي بالأمان والرضا. حيث تؤكد إحدى الحالات "احنا بنقلب الإناء يبدأ

البخار يطلع من الحلل بنطمن ونحس بالراحة".

ومن الأدعية التي يرددنها أثناء عملية طهو "الكرامة أرجيه" ما يلي:

"ونور بلايك دقري شفيج أودكون مليله سوكري" والتي تعني: "يا رب اعقد بلاءك وانزل شفاءك لكل مريض".

"اوركك اوركنا سوكري اودي" والتي تعني: " اسكب على بلادنا الماء البارد".

"اوجا ويكجي أن وباج توسينجر" والتي تعني: " اشف مرضانا واجعل هذه الجائحة كما دخلت تخرج".

ومن الأدعية التي تتردد في منطقة أخرى في طقس "الكرامة أرجيه":

"وونور أن كرنك زيحوسي أن كراملجو مليك خيروكو هدوئلج أوسكجي" والتي تعني: " اللهم اذبح الكورونا وهذه الكرامة اجعلها للجميع أن يكونوا بخير وهدوء".

وفي قرية نوبية أخرى –أيضًا– تردد النساء النوبيات الأدعية الآتية أثناء إحياء طقس "الكرامة أرجيه":

"ونور ونور ونور يكريم شبابوجا دوري كددجا مليرونجا هديوجي" والتي تعني: " يا رب يا رب يا رب يا كريم إن شاء الله نعيش بالهناء والفرح شبابنا كبيرًا وصغيرًا جميعًا".

"ونور يا الله بلا سوكي كعبك كودنجي انبى جامكا كودنجي جامنجيكي كودنجي ديوررجا أرحموجي اودجوكا ويكجي ونور يا كريم" والتي تعني: " يهدينا الله يا رب امنع الغلاء افتح لنا الكعبة افتح لنا مسجد الرسول افتح لنا المساجد ارحم موتانا اشفي مرضانا يا رب يا كريم".

العملية الثانية– استعادة التراث في مواجهة الجائحة:

أ–الاحتكام إلى المعتقدات الشعبية:

عمل المجتمع – محل البحث– على استعادة بعض عناصر تراثه الثقافي

حتى يتسنى له مواجهة أزماته الطارئة، هذا التراث تمثل في طقس "الكرامة أرجيه" حيث تؤكد إحدى المبحوثات على أن "الكرامة أرجيه دي مش فكرة جديدة دي من زمان من أيام أجدادنا لما البلاء يحصل كانوا بيعملوها". ومع استمرار الأزمة وخروجها عن السيطرة، يلجأ الناس إلى الاحتكام إلى المعتقدات الشعبية؛ حيث يعيش الناس في «حياتهم اليومية على أساس الإيمان العميق بالصلة القوية بين عالم الغيب وعالم الواقع» (المصري، ٢٠١٢: ١٦٩).

ومن خلال متابعة طقس "الكرامة أرجيه" رصد الباحث عدة أمور مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالجوانب الاعتقادية لدى عينة البحث، منها: أن عملية ممارسة هذا الطقس لا بد وأن تتم في مكان غير مسقوف من أجل أن يتصاعد البخار الناتج عن عملية الطهو إلى عنان السماء، حيث تؤكد إحدى المبحوثات "الكرامة أرجيه دي لازم تتعمل في حته مكشوفه علشان البخار ياخد البلاء معاه ويرفعه إلى عنان السماء" ويبدأن بترديد الأدعية مع تصاعد البخار اعتقادًا منهن أن تصاعد البخار يأخذ البلاء ويصعد به عنان السماء. كما لاحظ الباحث أن المشاركات في إعداد هذا الطعام يقمن بأخذ ماء "الكرامة" ويتم وضعه في إناء صغير، وتقوم إحدى السيدات من كبيرات السن، حيث ترافقها بعض السيدات بحمل هذا الإناء والرش منه على أعتاب المنازل، اعتقادًا منهن بأن ذلك يطرد الأرواح الشريرة، ويرفع البلاء. وتؤكد إحدى حالات البحث أن "الكرامة أرجيه دائمًا ما تنجيهم من المخاطر".

وقد تبين من خلال المقابلات الميدانية الانعكاس الواضح لقيم الأجداد وطرق مواجهتهم لأحداث متشابهة، فكان يرد على لسان المبحوثات عبارات ذات دلالة "أحنا اتعودنا نعمل كدة زى أجدادنا"

صورة رقم (٦-١): توضح رش أعتاب المنازل بماء "الكرامة أرجيه" (كمعتقد شعبي) لمواجهة جائحة كوفيد ١٩[٢*]

ب-استعادة التراث من خلال الأمثال الشعبية:

تعد الأمثال الشعبية تراثًا شعبيًا يمتاز بأصالته؛ لأنها من صنع الناس أنفسهم ومن إبداعهم، فهي معبرة عن حياتهم، عاكسة لأحوالهم، نابعة من بيئتهم (الساعاتي، ٢٠٠٢: ٣٠٨). وتمثل الأمثال الشعبية لدارس الفولكلور الذى يهتم بالجانب الأدبي أحد الفنون القولية، أما بالنسبة للأنثروبولوجي فتعتبر أحد ميادين الثقافة المهمة التي يستطيع منها أن يتعرف على العادات والتقاليد، والمعتقدات الشعبية، فهي تمده بدلائل حقيقية في معرفة الجوانب الاجتماعية والثقافية للجماعة والوحدة الاجتماعية» (العربي ومصطفى، ١٩٨٩: ٢٥٤). «كما أنها تريح النفس وتواسيها بما تضمنه من حكمة وفلسفة علمية» (دياب، ١٩٨٠: ١٨٤). ومن الخطأ – كما يقول مالينوفسكي- أن ننظر إليها على أساس أنها مجرد شكل من أشكال الفولكلور، أو مستند إثنوجرافي خاص بأحوال الشعوب. إنما هي في الواقع

(*) تم الحصول على هذه الصورة بطلب من الباحث من إحدى المبحوثات بتزويده بالصور حول ممارسة طقس "الكرامة أرجيه، وأن الباحث سينشرها في البحث، وتم التأكد من قِبَل الباحث بأن المبحوثات اللاتي ظهرن في الصور ليس لديهن مانع من نشرها في هذا البحث.

– على حد قوله– عمل كلامي يدعو قوة معينة إلى التحرك. وفي اعتقاد الذين يصدر عنهم هذا الكلام، أنه يؤدي أقوى أنواع التأثير على مجرى الأمور وعلى السلوك الإنساني (الساعاتي، ٢٠٠٢: ٣٠٨).

وتمكن الباحث عبر إجرائه للبحث الميداني من جمع بعض النماذج المتداولة للأمثال الشعبية في مجتمع البحث، والمرتبطة بمواجهة جائحة كوفيد ١٩، ويمكن لنا فيما يلي تقديم بعض النماذج لتلك الأمثال:

ومن الأمثال التي يتم استعادتها في عملية مواجهة الجائحة، ووردت على ألسنة المبحوثات أثناء حديثهن عن مخاطر الجائحة وكذلك الاستهانة بتلك المخاطر ما يلي:

–"سجد تكا أوريكاكبي" والتي تعني: "إنما تلدغ العقرب من يقترب منها".

– "سجدن أوفيل إديج أودرتتم" والتي تعني: "لا تضع أصبعك في جحر عقرب" .

حيث تشير تلك العبارة إلى المخاطر التي تواجه الفرد والمجتمع في حال عدم اتباعه الإجراءات السليمة في وقاية نفسه ومجتمعه بشكل صحيح.

ولتجنب خطر هذه الجائحة فقد عمل بعضهن على ترديد الأمثال التي تحث على اتخاذ الوسائل المناسبة، وتفعيل آليات مواجهة الجائحة، كالأمثال التي تحض على تفعيل أدوات المواجهة الفردية والجمعية، مثل عدم الاستهانة بالأمور البسيطة والحد من العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي (خليك في البيت)، وبما يفيد ضرورة الاعتداد بالوسائل الاحترازية الملائمة لمواجهة الجائحة وليس أية وسائل أخرى غير ملائمة، ومن هذه الأمثال:

–"ديديه أوسور تنوح تيه لي" والتي تعني: "إنما تسخن القدر من تحتها".

– "كركريه توجكا ميرمون " والتي تعني: "الشبكة لا تصد الرياح" .

ومن الأمثال التي تم تداولها في مجتمع البحث لحماية الصحة العامة والحد

من تفشي الجائحة ما يلي:

- "تتورن جو ويه ديدا فرافيكا نركيه" والتي تعني: "جذر واحد من الحنظل يفسد طبخة كاملة" .

حيث يحث هذا المثل على ضرورة اتباع الإجراءات الاحترازية والعزل الذاتي.

ولتحقيق ذلك يتطلب تضافر الجهود الجمعية ومن هذه الأمثال التي تحث على ذلك:

- "إدي ويه جركا جلو مون" والتي تعني: "لا نستطيع غسل ظهرنا بيد واحدة".
- "ادي ويه أولج أو شيمن" والتي تعني: "اليد الواحدة لا تصفق" .
- "كري أوي ويلوج منجمون" والتي تعني: "الخيمة لا تقف على عمود واحد".

فتحفيز الوعي المجتمعي على العودة عن البحث عن حكمة الأجداد وتوظيفها في تلك الظروف هو عامل مهم، حيث يضمن التفافًا مجتمعيًا أكثر قوة، الأمر الذي يدعم مواجهة الجائحة أو المخاطر المحيطة بصورة متميزة.

٢- أساليب تكيف المرأة النوبية مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩:

اعتمد البحث الراهن على تصميم عدة تساؤلات نسعى للإجابة عنها، من خلال منهجية تعتمد على وصف تجارب بعض السيدات النوبيات الناشطات في تكيفهن مع الأزمات المترتبة على انتشار الجائحة، حيث كان التساؤل الرئيس الذي وضعه الباحث هو: ما أساليب تكيف المرأة النوبية مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩؟

ومن ثم قام الباحث بتحديد التساؤلات ومحاولة الإجابة عنها كما يلي:

أ- ما أساليب تكيف المرأة مع الأزمات الاقتصادية المترتبة على انتشار الجائحة؟

ب- ما أساليب تكيف المرأة مع الأزمات الاجتماعية المترتبة على انتشار الجائحة؟

ج- ما أساليب تكيف المرأة مع الأزمات الصحية المترتبة على انتشار الجائحة؟

أ- أساليب التكيف مع الأزمات الاقتصادية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩:

من خلال تحليل المقابلات المتعمقة للحالات يبدو واضحًا الارتباط بين صور المواجهة الفردية وصور التكيف مع الأزمات الاقتصادية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩، فقيام بعض النساء في مجتمع البحث برفع شعار "كمامة لكل مواطن نوبي"، من خلال تبني مبادرة لتوزيع عدد كبير من الكمامات على المواطنين النوبيين غير المقتدرين بالمجان ساعد على تخفيف العبء عنهم. بعد أن أصبح استخدامها ضرورة لكل مواطن، أثناء النزول في الشوارع والأماكن المزدحمة، وكذلك الدخول للمصالح الحكومية والمستشفيات.

ويبدو واضحًا أن التكيف مع العمل في ظل جائحة كوفيد ١٩ أوجد فرصًا للاهتمام بالصناعات التراثية التي ترتبط بالثقافة والبيئة النوبية. ففي مجال (العمل) عملت بعض النساء النوبيات – في مجتمع البحث – على الاستفادة من العزل المنزلي، ففي هذه المرحلة حرص بعضهن على تحويل العزل المنزلي إلى فرصة جيدة لإيجاد مصدر دخل يعينهن وأفراد عائلتهن على البقاء، وتؤكد إحدى حالات البحث "أن بعض النساء بدأن العمل من المنزل كعمل السلال وأطباق الخوص الملونة وأشغال الخرز، من أجل مساعدة الأسرة في توفير النفقات اللازمة".

وإذا كانت ثمة أزمة نتيجة الإغلاق والحظر ومنع التنقل، فإن العديد من المواطنين النوبيين قد أدوا التزامًا واضحًا بالنهج الجمعي للتكيف استجابة منهم لنداءات القيادات النسائية– في مجتمع البحث– حيث عملت بعض هذه القيادات عبر وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بالجماعات النوبية على نشر دعوات

لحث الجمعيات داخل القطر المصري وخارجه على تقديم المساعدة لذويهم. وزاد من قوة ذلك الالتزام بتوفر بعض الموارد المادية التي قدمتها بعض الجمعيات النوبية. حيث عملت هذه الجمعيات الموجودة خارج النوبة، بل وخارج مصر على تقديم مساعدات مادية وعينية للوقوف بجوار ذويهم في مواجهة الأزمة الاقتصادية المرتبطة بالجائحة، وتعطيل أغلب الأنشطة الاقتصادية، فأسهمت تلك المساعدات في دعم السكان وتوفير بعض المدخرات المالية التي كان سيتم إنفاقها لولا هذه المساعدات.

وتؤكد إحدى حالات البحث "أن النوبي لا ينسى مجتمعه الأصلي وخاصة في الأزمات". وتؤكد حالة أخرى على "أحنا طورنا نفسنا بنفسنا، ومسنيناش حد ياجى من بره يطورنا".

صورة رقم (٧-١): توضح استجابة الجمعيات النوبية للدعوات التي أطلقتها المرأة النوبية لمساعدة ذويهم

ب- أساليب التكيف مع الأزمات الاجتماعية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩:

من خلال تحليل المقابلات المتعمقة للحالات يبدو واضحًا الارتباط بين صور المواجهة الفردية وصور التكيف مع الأزمات الاجتماعية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩، فمن صور التكيف التي نجحت المواجهة الفردية في إنتاجها ظهور محاولات ومبادرات فردية وجمعية – في المجتمع محل البحث- للعمل على استدامة واستمرار وصول الخدمات للأسر المعيشية بشكل آمن، ومن الأمثلة على

ذلك: مطالبات بعض القيادات النسائية، من خلال الجمعيات الخاصة بهن، توفير كافة المستلزمات التي تحتاجها الأسر، لذلك استطاعوا توفير أسطوانات البوتاجاز للمنازل، من خلال تولي أشخاص محددين في قرى البحث بتوصيل هذه الأسطوانات إلى المنازل، مقابل مبلغ مالي رمزي يُدفع شهريًا؛ حيث تؤكد إحدى حالات البحث "احنا في شخص معين بيجيب لينا أنابيب الغاز لحد البيت مقابل مبلغ بسيط كل شهر".

وبنفس الطريقة تمكنت بعض القيادات النسائية من القيام بتوزيع الأدوار داخل مجتمعها، وذلك من خلال التعاون مع القيادات من الرجال في توفير الخبز للمنازل، فلكي يتم تنفيذ التباعد المكاني كسياسة احترازية بدقة وعناية؛ وحتى لا يتم انتشار الجائحة بتداول البطاقات التموينية، عملت بعض الجمعيات على إسناد هذه المهمة لشخص محدد يتولى توزيع الخبز وتوصيله إلى المنازل، وذلك في مقابل مبلغ مالي رمزي –أيضًا– يُدفع شهريًا، مما يؤدي إلى القضاء على التزاحم أمام المخابز. حيث تؤكد إحدى حالات البحث "احنا في شخص معين بيجيب لينا العيش لحد البيت مقابل مبلغ بسيط كل شهر".

كذلك عملت بعض النساء في مجتمع البحث على تقديم مقترحات معينة تم تنفيذها على أرض الواقع، مثل أن يوفر صاحب السوبر ماركت خدمة توصيل الطلبات إلى المنازل، من خلال الاتصال التليفوني، إضافة إلى تنظيم عملية تحقيق الاكتفاء الذاتي، كأحد متطلبات التكيف مع أزمات انتشار الجائحة، حيث قامت النساء النشيطات في مجتمع البحث، بتوزيع الأدوار، من خلال قيام بعض الشباب بتولي مهمة توفير احتياجات الأسر من الخضراوات بدلاً من التزاحم، وبالفعل قام بعض الشباب بتنفيذ المقترحات على أرض الواقع، من خلال جلب احتياجات القرية من الخضراوات والفاكهة، والعمل على تنظيفها جيدًا قبل البدء في توزيعها على المنازل.

صورة رقم (٨-١): شباب النوبة أثناء تجهيزهم لاحتياجات الأُسَر من الخضراوات والفاكهة

ومن ملاحظات الباحث أثناء المقابلة المتعمقة، أن حالات البحث كانت تستخدم صيغ الجمع والفخر الإثني في التعبير عن أساليب التكيف مع أزمات جائحة كوفيد ١٩، فلم تصدر كلمات تعبر عن الذات والأنا. وكانت أساليب التكيف مع أزمات الجائحة ذات طابع طبي خالص، وبالرغم من ذلك فقد أثرت بشدة على طبيعة الحياة اليومية للناس؛ الأمر الذي أوجد صورًا للتكيف الاجتماعي، ففي مجال (التعليم) عملت بعض النساء في مجتمع البحث على الاكتفاء بالتعليم المنزلي، حيث ثبت من خلال المقابلات الميدانية أن بعض النساء اللاتي حصلن على قسط من التعليم، قد استخدمت مهاراتها في تعليم أبنائها ما تبقى من الدروس. في حين اكتفى البعض بالمستوى الذي حققه أبنائهن؛ خاصة وأن المؤسسة التعليمية الرسمية قد ألغت أغلب الامتحانات العامة. حيث تؤكد إحدى حالات البحث "أحنا بالنسبة للتعليم زينا زي غيرنا ماختلفناش، إللي متعلمه منيننا قدرت تساعد أولادها في البيت، وإللي مش متعلمه سابتهم على اللي أخدوه في المدرسة وخلاص". ويبدو واضحًا من متابعة صور تكيف المرأة في المجتمع النوبي مع مشكلات التعليم أنه لا يختلف عن أي مكان آخر، حيث إن نظام التعليم عمل على اتخاذ إجراءات عامة تنطبق على جميع المصريين بدون تمييز.

ج- أساليب التكيف مع الأزمات الصحية المترتبة على انتشار جائحة كوفيد١٩:

من خلال تحليل المقابلات المتعمقة للحالات يبدو واضحًا الارتباط بين صور المواجهة الفردية وصور التكيف مع الأزمات الصحية المترتبة على انتشار الجائحة، حيث عملت بعض النساء في مجتمع البحث على توعية أبنائهن بالإجراءات الاحترازية اللازمة التي تقيهم من الإصابة بفيروس كورونا. حيث تؤكد إحدى حالات البحث على أنه "محدش يروح أي وحدة صحية أو مستشفى في الوقت الحالي إلا لو حالة طارئة، وممنوع تلمس أي شيء في المستشفى، إيدك دايمًا في جيبك، ممنوع تمامًا السلام بالأيدي أو البوس والأحضان".

ويبدو واضحًا - أيضًا- من خلال تحليل المقابلات المتعمقة للحالات الارتباط بين صور المواجهة الجمعية وصور التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار الجائحة، فقد ارتبطت مبادرات التوعية بمخاطرها وطرق الوقاية منها بإقبال كثيف من المواطنين على حضور الندوات التثقيفية، وبشكل قد لا يتوفر في كثير من المدن والمجتمعات المجاورة، كما رصد البحث إقبالًا واضحًا من المواطنين على الكشف الطبي وأخذ الاحتياطات المناسبة ومتابعة الطبيب والفحوصات التي كانت تقدم مجانًا. حيث أسهمت المساعدات المقدمة من الجمعيات الموجودة خارج النوبة، بل وخارج مصر في تقديم خدمة طبية مميزة، وخاصة في مجال الكشف والتحقق من الإصابة بالجائحة، الأمر الذي أسهم في عدم إقبال المواطنين على المستشفيات العامة، نظرًا لوصول الخدمة له عن طريق تلك الجمعيات. ولقد قامت بعض النساء منهن بطرح بعض الأفكار من أجل الاستفادة من المساعدات المقدمة من هذه الجمعيات. حيث تؤكد إحدى حالات البحث "طيب ممكن فكره ما نعمل فحص شامل لكل أهل القرية بمبلغ رمزي، وباقي التكاليف تتحمله الجمعيات اللي موجودة بالخارج، وبكده نكون بردو اطمنا على ناسنا وأهالينا."

- التكيف مع الجائحة عبر إعادة الإنتاج الثقافي:

ومن متابعة المقابلات المتعمقة للحالات يبدو واضحًا الارتباط بين صور

المواجهة المجتمعية، وصور التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار الجائحة، حيث بات واضحًا اهتمام مجتمع البحث بإحياء العادات التراثية الخاصة بصرف أية جائحة وكذا الأرواح الشريرة التي تجلبها، حيث إن السكان لم يمارسوا الطب الشعبي منعزلًا عن الطب الحديث، فقد كان الطب الشعبي بمثابة مجال للتكيف المجتمعي عبر بث روح الطمأنينة والاستقرار والتضامن الاجتماعي، وكذا الهوية الجمعية تلك الهوية التي عملت على إعادة إنتاج التراث من أجل التكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار الجائحة.

«وقد تم تحديد إعادة إنتاج الثقافة الشعبية للتكيف مع الأزمات المترتبة على الجائحة في ثلاث عمليات هي:

١-عمليات التواتر أو التناقل.

٢- عمليات الاستعادة .

٣- عمليات الإضافة (بالاستعارة أو بالإبداع) » (المصري، ٢٠١٢: ١١).

العملية الأولى- تواتر العناصر التراثية:

«يعد التواتر من الممارسات الدينامية والمتجددة والمتنوعة التي تتم في سياقات وظروف متغيرة، رغم ما تبدو عليه من ملامح تقليدية ونمطية وعلى شاكلة واحدة ومن ثم فإن تلك الممارسات – عبر تواترها تولد الأفعال والمبررات التي تسهم في الحفاظ على أساليب محددة للحياة، وهذا ما يضفي على تلك الأساليب أهمية وقيمة وثراء لمعانيها بالنسبة إلى ما يؤمنون بها ويمارسونها في حياتهم» (المصري، ٢٠١٢: ١٦٧).

ومن أهم الآليات التي تم بموجبها عملية تواتر التراث – من أجل التكيف مع جائحة كوفيد ١٩ في مجتمع البحث- الممارسة، حيث عملت بعض النساء على محاولة الاستفادة من معطيات البيئة الطبيعية من خلال استخدام القَرَضْ (ثمار شجرة السنط)، في التطهير، وعلاج ارتفاع درجة الحرارة، وفي مواجهة أنواع

الميكروبات والجراثيم كافة. ويتضح ذلك من خلال النصوص التالية للمبحوثين:

- "القَرَضْ بيتغلي في ميه بيغسلوا بيه إيدهم بدلاً من الكحول ".

- "احنا بنجيب القرض وبنغليه في ميه، وبنغسل إيدنا بالمية دي".

ومن خلال الشواهد الميدانية تبين أن هذه الممارسات لم تكن منتشرة بصورة واسعة في المجتمع محل البحث، بل كانت تمارس على نطاق محدود تكاد تقتصر على الفئات محدودة الدخل؛ أي من تمنعهم ظروفهم الاقتصادية من شراء المطهرات الكيميائية.

العملية الثانية- استعادة العناصر التراثية:

«تعبر عملية الاستعادة عن تفاعل حي ودينامي بين كافة عناصر التراث المرتبطة بالخبرات السابقة، والظروف والملابسات المرتبطة بالأحداث والمواقف المستجدة من ناحية أخرى، بحيث تصبح العناصر التراثية خلال استعادتها، بمثابة كيان متفاعل بين ماضيه وحاضره، ويترتب على هذه العملية تجديد الخبرات وتنوعها لكي يظل التراث في حالة إنتاج متواصلة، وتنطبق عملية استعادة التراث على كثير من مجلات التراث الشعبي» (المصري، ٢٠١٢: ٢٧٣). منها على سبيل المثال - في البحث الراهن- الطب الشعبي ومن نماذج الطب الشعبي التي تم استعادتها في عملية مواجهة الجائحة القرض (ثمار شجرة السنط)، فعندما تفشت جائحة كوفيد ١٩ بدأ البعض في مجتمع البحث الاعتماد على العودة إلى تراث الأجداد.

حيث كان الأجداد في النوبة القديمة يستخدمونه لمواجهة العديد من الأمراض والجوائح، وهذا ما أكدته الشواهد الميدانية، حيث تؤكد إحدى المبحوثات " بتوع النوبة القديمة مكانش عندهم دكاترة لما حد كان يسخن منيهم كانوا بيعالجوه بالقرض". وتؤكد حالة أخرى على استخدامه حال الأزمة الراهنة "احنا كل يوم في الصبح وفي المغرب، في البيت بنحط طاجن قديم على البوتاجاز ونحط شويه من

القرض، ونبخر البيت كله، دا معقم لجو البيت ".

العملية الثالثة- الإضافة (بالاستعارة أو بالإبداع):

«تنطوي عملية الإضافة على مزيج من الوعي والقصدية والاختيار من ناحية والتلقائية من ناحية أخرى، وذلك لإمداد أساليب الحياة بعناصر ثقافية جديدة، وتتجلى هذه العملية في نمطين هما: الاستعارة والإبداع» (المصري، ٢٠١٢: ٣٦٩). وقد كشفت الشواهد الميدانية عن إضافة عناصر ثقافية جديدة سواء بالاستعارة أو بالإبداع، وهو ما سيتضح فيما يلي:

-الاستعارة:

«الاستعارة ما هي إلا تبنٍ لبعض العناصر الثقافية التي تضاف إلى رصيد الجماعة المشترك من التراث» (المصري، ٢٠١٢: ٣٧١). ومن أهم الآليات التي تم بموجبها عملية الاستعارة آلية التلقي، «حيث تسهم آلية التلقي في استعارة بعض العناصر والممارسات الثقافية من وسائل الاتصال والإعلام الجماهيري بصفة عامة والتليفزيون على وجه الخصوص، ولما كانت عملية التلقي ذاتها تتأثر بالخصائص الاقتصادية والاجتماعية للمتلقين وسياق التلقي وظروفه، فهذا ينعكس على فعل الاستعارة الثقافية التي تتم عبر آلية التلقي» (المصري، ٢٠١٢: ٣٨٩). من هنا عمل مجتمع البحث الراهن على استعارة أدوات احترازية حديثة، إضافة إلى الأدوات التقليدية التي كانت تستخدم كالكمامة والقفازين والمطهرات بمختلف أنواعها.

- الإبداع:

«الإبداع الثقافي هو قدرة الجماعة ككل على إثراء مخزونها الثقافي بالتجديدات» (سميث، ١٩٩٨: ٢٣٠). حيث إن «هناك آليات متعددة تعمل على التوليد المستمر للإبداعات الثقافية في ميدان التراث الشعبي، من هذه الآليات الإبداع في الأمثال الشعبية، حيث يتم استخدام الأمثال التي تناسب الموقف أو الحدث أو موضع الكلام، أي أن عالم الحياة اليومية الجاري هو الذي يفرض على المتكلمين خطوط الالتقاء

بين الحاضر وتراث الماضي» (المصري، ٢٠١٢: ٤٣٢). ومن الأمثال الشعبية التي استخدمت – في مجتمع البحث– حال أحداث جائحة كوفيد ١٩ ، وتعبر عن ضرورة التكيف مع أزمات الجائحة وتحمل إجراءات مواجهتها: "من خرج من داره قل مقداره" و"وجع ساعة ولا كل ساعة"، حيث تحث هذه الأمثال على ضرورة الالتزام بالعزل المنزلي وعدم مغادرته إلا في الضرورة القصوى.

تاسعًا- استخلاص نتائج البحث :

من النتائج التي خلص إليها البحث، ما يلي:

١- أن مجتمع البحث قدم صورًا فردية وجمعية ومجتمعية في مواجهة الجوائح والكوارث العامة، وذلك عبر استعادة التراث وإعادة إنتاجه في تلك المواجهة.

٢- وجود حالة من التضامن الاجتماعي في مجتمع البحث لمواجهة الأزمات المترتبة على جائحة كوفيد ١٩، على المستويات الفردية، والجمعية، والمجتمعية؛ وذلك من خلال الجهود المبذولة من جانب بعض النساء النشيطات لمواجهة تفشي الجائحة والأزمات المترتبة عليها.

٣- ثبت أن النساء القائمات بمبادرات – عبر جمعيات المجتمع المدني– كانت أكثر إقدامًا في عملية تعديل أنماط السلوك الاجتماعي، حيث أسهمن بشكل فعال في الوقاية من الجائحة، وتخطي الأزمات المترتبة عليها.

٤- من النماذج التي قدمتها النساء في مجتمع البحث لمواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها تبني مبادرة توزيع الكمامات على غير المقتدرين بالمجان، من أجل الإسهام في تخفيف العبء المادي في شراء الكمامات.

٥- قامت الجمعيات النسائية – في مجتمع البحث– بِحَث الأسر على تحفيز أدوات المواجهة الفردية من خلال تطبيق سياسة التباعد المكاني، حيث

تولى بعض الأشخاص في كل قرية توصيل احتياجات الأسر المعيشية إلى المنازل مقابل مبلغ مالي رمزي.

٦- كانت السمة الغالبة في مجتمع البحث الحرص على اتباع إرشادات النظافة العامة – خاصة بين ربات البيوت- تجنبًا لتفشي الجائحة.

٧- كان واضحًا – في مجتمع البحث- حرص والتزام العديد من النساء على تفعيل سياسة العزل الطوعي لهن ولأفراد أسرهن، حتى تقل فرص الاختلاط والتي قد تكون أحد العوامل الرئيسة المسببة لانتشار الجائحة، حيث حرص بعضهن على تحويل العزل المنزلي إلى فرصة جيدة لإيجاد مصدر دخل يعينهن وأفراد عائلتهن على البقاء.

٨- أن الصور الفردية لمواجهة الجائحة لا تنفصل عن الصور الجمعية للمواجهة، بل إنهما يتكاملان في كثير من الأحيان.

٩- من النماذج التي قدمتها بعض النساء في مجتمع البحث لمواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها على المستوى الجمعي، كانت مطالبات بعض القيادات النسائية للمسئولين بتخفيف العبء والضغط على العاملين في مستشفيات العزل من الأطباء والممرضين وتوفير الإجراءات الاحترازية اللازمة لحمايتهم من الإصابة.

١٠- كانت جمعية (القلوب الرحيمة) – في مجتمع البحث- نموذجًا للمجهودات النسائية الجمعية في القيام بتنفيذ عدة إجراءات احترازية لمواجهة الجائحة، ومنها التباعد المكاني، ومنع الزيارات حال المرض، واقتصار واجب العزاء على المقابر، وتقليل المشاركات الاجتماعية في المناسبات، والاكتفاء بالاتصال التليفوني في كل تلك الأمور.

١١- عمل العديد من الجمعيات النسائية – في مجتمع البحث- على تصميم مبادرات جمعية كمبادرة (الزم بيتك)، وقد تمت الدعوات لتلك المبادرات عبر الصفحات المختلفة لهذه الجمعيات.

١٢- قامت الجمعيات النسائية – في مجتمع البحث- بتنظيم العديد من الندوات التثقيفية من أجل الإسهام في رفع درجة الوعي بكيفية منع انتشار الجائحة والإجراءات السليمة في التعامل معها في حال حدوثها.

١٣- عملت بعض القيادات النسائية – في مجتمع البحث- على التواصل مع شبكات ونشطاء المجتمع المدني داخل القُطر المصري وخارجه، عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي لدعم الجمعيات في مجتمع البحث لمواجهة الجائحة.

١٤- أسهمت عمليات إعادة إنتاج التراث الثقافي على تواتر واستعادة عادات وأنماط سلوكية، وكذلك معتقدات وأحكام تصب جميعها في مواجهة الجائحة من الناحية العاطفية، حيث العمل على التوازن والانضباط العاطفي في مواجهة الضغوط الصحية والاجتماعية المترتبة على الجائحة. مثال على ذلك إحياء طقس "الكرامة أرجيه" وهي عادة متعارف عليها – في مجتمع البحث- في أوقات البلاء.

١٥- أسهمت الطبيعة التضامنية- لمجتمع البحث- في مواجهة الأزمات والتحديات الاجتماعية، حيث عملت على توحيد المعاني الجمعية في مواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها، حيث مواجهة المشكلات الطارئة تتم عبر مشاركة جماعية تستلهم من قيم التراث صورًا للتضامن والتآزر، وكأن التحدي القائم لا يواجه فردًا بعينه، حيث تخفف تلك المعاني الجمعية والاحتفالية من وطأة الأزمات وحدتها.

١٦- يعتبر إعادة إنتاج الهوية الجمعية وحشد الناس حولها من المهام الأساسية للمواجهة المجتمعية في مجتمع البحث، فلم تكن المواجهة المجتمعية – كما ظهر من البحث الميداني- تقوم فقط على طب معين أو إجراء صحي محدد، بل كانت تقوم على العودة – أيضًا- إلى التراث وحشد الذاكرة الجمعية، حيث مواجهته للجائحة لم ترتبط بوصم الناس أو

استبعادهم، بل ارتبطت بمزيد من العودة إلى الجذور لتحقيق أقصى قدر ممكن من التضامن المجتمعي.

١٧- بناءً على مراجعة التراث المتعلق بدراسة جماعات المبادرات الذاتية، ذات المحتوى النسائي، فقد كشفت إحدى الدراسات أن تلك الجماعة تبنت هياكل تنظيمية ذاتية، واستراتيجيات، وأن انخراط النساء سواء كان ذلك على أساس اجتماعي أو جندري، فقد كانت مشاركتهن مختلفة عن مشاركة الرجال، وأنماط مبادراتهن في تلك المجموعات. وهو الأمر الذي تحقق منه الباحث في نتائج بحثه الميداني، حيث اتضحت قدرة بعض النساء في مجتمع البحث على تحقيق أهداف كبيرة واضحة، من حيث القدرة على التواصل مع روابط اجتماعية ومؤسسات غير رسمية متغلغلة في البناء الاجتماعي مثل جمعيات المجتمع المدني (النوبي).

عاشرًا- توصيات البحث:

١- ضرورة الاهتمام بإدماج النساء ومعارفهن المكتسبة من تجارب مواجهة الجائحة والتكيف مع أزماتها، لأن ذلك سيعمل على تمكين المرأة، ومن ثم تحسين الجاهزية والاستجابة لتفشي أية جائحة.

٢- ضرورة الاستفادة من تجربة المجتمع محل البحث في مواجهته لجائحة كوفيد ١٩ والتكيف مع أزماتها بمحاولة تطبيقها في المجتمعات الأخرى.

٣- يجب الاهتمام من قِبَل وسائل الإعلام بنشر مثل هذه التجارب من أجل تشجيع المجتمعات الأخرى للاقتداء بها.

٤-العمل على توظيف التراث الثقافي في مواجهة الأزمات الاجتماعية والصحية.

قائمة المراجع

أولاً– المراجع العربية:

١–إبراهيم، أحمد زين العابدين أحمد . (٢٠٢٠). المعرفة بكوفيد ١٩ وتداعياته على الأسرة المصرية: بحث اجتماعي ميداني بمحافظة أسيوط . مجلة البحث العلمي في الآداب (العلوم الاجتماعية والإنسانية). ع(٢١). ج(٦).

٢–أبودوح، خالد كاظم. (٢٠٢٠). كيف يفهم علم الاجتماع وباء الكورونا. أصوات أون لاين.https://aswatonline.com/2020/04/22

٣–أحمد، سمير نعيم. (١٩٨٢). المنهج العلمى في البحوث الاجتماعية. جامعة عين شمس.

٤–أحمد، غريب سيد. (١٩٨٣). تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية.

٥–الجوهري، محمد. (٢٠٠٦). مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري. القاهرة.

٦–الجوهري، محمد. (٢٠٠٧). التراث الشعبي في عالم متغير: دراسات في إعادة إنتاج التراث. القاهرة. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

٧–الجوهري، محمد. (٢٠١٠). علم الفولكلور: الأسس النظرية والمنهجية. جامعة القاهرة. كلية الآداب. مركز البحوث والدراسات الاجتماعية. مج(١).

٨–الحسيني، السيد. (١٩٨٥). النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم. القاهرة. دار المعارف. ط٥.

٩–الريس، أماني وخشبة، محمد ماجد. (٢٠٢٠). الصحة الرقمية في مواجهة جائحة كورونا وغيرها، الخبرات العالمية والمصرية ونظرة إلى الغد. معهد التخطيط القومي. الآثار الاقتصادية والاجتماعية لجائحة كورونا على واقع وآفاق التنمية في مصر. سلسلة أوراق الأزمة. الإصدار (نوفمبر ٢٠٢٠).

١٠–الساعاتي، سامية. (٢٠٠٢). الإبداع في المثل الشعبي: تحليل اجتماعي لبعض الأمثال الشعبية. في: الجوهري، محمد وحنفي حسن. تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي: الكتاب الثاني. التراث الشعبي في عالم متغير– قراءات تأسيسية. جامعة القاهرة. كلية الآداب. مركز البحوث والدراسات الاجتماعية. المجلة العربية لعلم الاجتماع.

١١–العربي، فوزى رضوان ومصطفى، فاروق أحمد. (١٩٨٩). دراسات في الأنثروبولوجيا التطبيقية: مدينة العريش. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية.

١٢-الفقيه، عبد العاطي فرج علي. (٢٠١٥). التكيف الاجتماعي: المفهوم والأبعاد: دراسة نظرية سوسيولوجية. المجلة الليبية العالمية. جامعة بنغازي. كلية التربية بالمرج. ع:٤، ص ص ١-٢١.

١٣-الفندري، عزة وخشبة، محمد ماجد. (٢٠٢٠). فجوات وتحديات النظام الصحي في مصر وسياسات مقترحة لتعزيز الأمن الصحي في ضوء خبرات جائحة كورونا. معهد التخطيط القومي. الآثار الاقتصادية والاجتماعية لجائحة كورونا على واقع وآفاق التنمية في مصر. سلسلة أوراق الأزمة. الإصدار (نوفمبر ٢٠٢٠).

١٤-المصري، سعيد. (٢٠١٢). إعادة إنتاج التراث الثقافي: كيف يتشبث الفقراء بالحياة في ظل الندرة. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.

١٥- باومان، زيجمونت. (٢٠١٧). الخوف السائل. ترجمة: حجاج أبو جبر. بيروت. الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

١٦- جوبو، جيامبيترو. (٢٠١٤). إجراء البحث الإثنوجرافي. ترجمة: محمد رشدي. القاهرة. المركز القومي للترجمة.

١٧-جيدنز، أنتوني. (٢٠٠٥). علم الاجتماع: مدخلات عربية. ترجمة: فايز الصباغ. بيروت. المنظمة العربية للترجمة. ط٤.

١٨-دياب، فوزية. (١٩٨٠). القيم والعادات الاجتماعية: مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية. بيروت. دار النهضة العربية.

١٩-ربيع، مصطفى . (٢٠٢٠). الجائحة الصامتة: ملامح صاعدة لثقافة الأوبئة في أفريقيا جنوب الصحراء . المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي. ع (١٠).

٢٠- ريتزر، جورج. (٢٠٠٦). موسوعة النظرية الاجتماعية. ترجمة: مصطفى خلف عبدالجواد. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.

٢١-زايد، أحمد. (خريف، ٢٠١٣). من البصاصة إلى الصراع والعنف: آليات المراقبة في الدولة المصرية الحديثة. الدوحة. مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية: مجلد٢، عدد ٦.

٢٢-عبد الحفيظ، محمود صلاح وحسن، جبر الله عباس.(٢٠٢٠). مقاومة الوباء والوصم الاجتماعي: تحليل سوسيو- أنثروبولوجي لمضمون الصحافة الإلكترونية في مصر. جامعة قناة السويس. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ع ٣٤.

٢٣-عثمان، سعاد. (٢٠٢٠). إعادة إنتاج التراث الثقافي غير المادي: ظاهرة تكريم الأولياء نموذجًا. جامعة القاهرة. كلية الآداب. مركز البحوث والدراسات الاجتماعية. المجلة العربية لعلم الاجتماع. ع(يناير ٢٥).

٢٤-عريقات، سمير. (٢٠٢٠). المشروعات الصغيرة والمتوسطة في مواجهة جائحة كورونا. معهد التخطيط القومي. الآثار الاقتصادية والاجتماعية لجائحة كورونا على واقع وآفاق التنمية في مصر. سلسلة أوراق الأزمة. الإصدار (نوفمبر ٢٠٢٠).

٢٥-غانم، علاء وسبع، أيمن. (٢٠١٨). العدالة الاجتماعية والصحة في مصر. المبادرة المصرية للحقوق الشخصية.

٢٦-فوكو، ميشيل. (١٩٩٠). المراقبة والمعاقبة ولادة السّجن. ترجمة: علي مقلد. بيروت. مركز الانتماء القومي.

٢٧-مرسي، سلوى والصاوي، زينب. (٢٠٢٠). جهود مصر لمواجهة آثار جائحة كورونا. معهد التخطيط القومي. الآثار الاقتصادية والاجتماعية لجائحة كورونا على واقع وآفاق التنمية في مصر. سلسلة أوراق الأزمة. الإصدار (نوفمبر ٢٠٢٠).

٢٨-مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. (٢٠١٥). الدليل الإحصائي: قطاع الأسرة والسكان أسوان. ديوان عام المحافظة. الإدارة العامة لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

٢٩-مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. (٢٠١٥). الدليل الإحصائي: قطاع التعليم أسوان. ديوان عام المحافظة. الإدارة العامة لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

٣٠-مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. (٢٠١٥). الدليل الإحصائي: قطاع القوى العاملة أسوان. ديوان عام المحافظة. الإدارة العامة لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

٣١-مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. (٢٠١٥). الدليل الإحصائي: قطاع الزراعة أسوان. ديوان عام المحافظة. الإدارة العامة لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

٣٢-مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. (٢٠٢٠). التداعيات العالمية لفيروس كورونا المستجد. القاهرة. مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. مقتطفات تنموية. س (١). عدد خاص. ١١ مارس.

٣٣-هس، شارلين وليفي باتريشا. (٢٠١١). البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية. ترجمة: هناء الجوهري. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.

ثانيًا- المراجع الأجنبية:

1-Badrfam, Rahim Atefeh Zandifar. (2020). Stigma Over COVID-19; New Conception Beyond Individual Sense. Elsevier Public Health Emergency Collection.

2-Binzel,Christine and Fehr, Dietmar. (2013). Social Distance and Trust: Experimental Evidence From Slum In Cairo.IZA Discussion Paper No: 7183. Institution For the Study of Labor, Germany.

3-Chirombe, T., Benza, S., Munetsi, E., Zirima, H.(2020). Coping Mechanism Adopted by People During the Covid-19 Lockdown In Zimbabwe. Business Excellence and Management, Vol(10).

4-Cornwall, Andrea. (2014). Women's Empowerment: What Works and Why? WIDER Working Paper 2014/104, P 25.

5- Etzioni, Amitai (2020). The Sociology of Surviving the Coronavirus. See in: 16 March 2020.<https://nationalinterest.org/feature/sociology-surviving-coronavirus-133512>.

6-Ferguson, N.(2007). Capturing Human Behavior. Nature. Vol. 446, No: 7137.

7-Gerhardt, Uta. (1979). Coping and Social Action: Theoretical Reconstruction of the Life-Event, Sociology of Health and Illness, Vol. 1, No. 2.

8-Girma, Abel and Ayalew, Ermlas.(2020). Covid-19 Related Stress and Coping Strategies Among Adults with Chronic Disease in Southwest Ethiopia.

9-Gozzi, D. Perrotta, D. Paolotti, and Perra, N. (2020). "Towards Data-Driven Characterization of Behavioral Changes Induced by the Seasonalflu." ArXiv.

10- Jocelyn A. Hollander; Rachel L. Einwohner. (2004). Conceptualizing Resistance. Journal of Sociological forum. Dec: Vol. 19, No. 4. Pp. 533-554.

11-Jasper, Jams M. (1997).the Art of Moral Protest . Chicago University Press .

12-Julia Smith, and Rosemary Morgan, Covid – 19: the Gendered impacts of the Outbreak, The lancet journal, Vol 395, March2020, ISSUE 10227, p 487.

13-Melnyk, Timothy Steven.(2011). A Sociological Perspective on Stress Health and Coping and an Examination of a Proposed Coping Framework: The Coping Repertoire Approach, Canada, University of Manitoba.

14-Mitrousi, Stavroula and et al.(2013). Theoretical Approaches to Coping, Greece, University of Peloponnese.

15- Nurunnabi M. et al. (2020). Coping strategies of students for anxiety during the COVID-19 pandemic in China: a cross-sectional study. First published. See in: 10 Sep.

https://doi.org/10.12688/f1000research.25557.1>.

16-Taylour, Verta. (1999). Gender and Social Movments: Gender processes in Women's Self- Help Movments. Vol, 13, N1,P.8-33.

17- Tekeci, Yasin. (2020). Effect of COVID 19 on Perceived Stress, Coping Skills, Self-Control and Self-Management Skills. Version 1. See in: 30 Jul, 2020 .

https://assets.researchsquare.com/files/rs-48393/v1/0fb1907b-7169-44da-bd04-5504a1bde9b1.pdf>.

18-Verelst, F . Willem, L and . Beutels, P. (2016). “Behavioural Change Models for Infecous DiseaseTransmission: A systemac Review (2010–2015).” Journal of The Royal Society Interface. Vol. 13, No: 125.

19-W.H.O.(1998). Emergency Health Training Programme For Africa, Panafrican Emergency Training Centr, Addis Ababa.

ملاحق البحث:

دليل المقابلة المتعمقة

أساليب المواجهة والتكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية

بحث أنثروبولوجي في بعض قرى النوبة بمحافظة أسوان

٢٠٢٠م

لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي

أولاً- البيانات الأساسية :

السن	
الحالة التعليمية	
الحالة الاقتصادية	
الحالة الاجتماعية	
الجماعة الإثنية	

ثانيًا- صور المواجهة الفردية:

ارتداء الكمامة والقفازين:

-صور ومعاني الاهتمام بالكمامة والقفازين.

التباعد المكاني:

-مؤشرات الاهتمام والحرص على التباعد المكاني.

النظافة العامة ونظافة المكان الخاص:

- مدى استخدام الأدوات والمحاليل المطهرة (اقتصاد المواجهة من حيث: التكلفة والإمكانات المادية للأفراد) .

العزل المنزلي الطوعي:

- صور وحالات انتشار العزل المنزلي الطوعي – تأثير ذلك على حياة الأسرة – على اقتصاد مصادر دخل الأسرة.

المواجهة المجتمعية:

- صور تغيير الأنماط الاجتماعية المعتادة من حيث حفلات الميلاد (السبوع) – مراسم الزواج (حفل الزفاف) – مراسم العزاء – تجمعات السمر ولقاء الأصدقاء (المقهى –النادي–الزيارات–الرحلات).

-أدوار ومساهمات النساء في الجمعيات النوبية المحلية.

- صور تلك المشاركات من حيث التوعية للجائحة.

-معرفة الأدوار الميدانية للنساء في التوعية بآثار الجائحة وطرق الوقاية منها.

- معرفة أدوار النساء الأعضاء في الجمعيات النوبية من حيث التواصل مع المسئولين والجهات التنفيذية من مخاطر الجائحة.

أساليب تكيف المرأة مع الأزمات المترتبة على انتشار الجائحة:

- معرفة أنماط وأساليب التكيف الطبية – مدى توفير الأدوية اللازمة لمواجهة الجائحة – معرفة طرق الوقاية الصحية المتبعة.
- العلاقة بين مستويات الدخل والمعيشة والالتزام بالإجراءات الاحترازية.
- أنماط التكيف الاقتصادي وأساليبه.
- رصد محاولات الحصول على أعمال إضافية لا تقتضي التفاعل الاجتماعي.
- رصد صور التغير في معدلات الإنفاق وإشباع الاحتياجات المادية.
- رصد صور التضامن الاقتصادي مع الآخرين.

- أنماط سلوكية للتكيف (أعمال البر ومساعدة الآخرين – دور القرابة والعلاقات الأسرية في التكيف الاجتماعي مع الجائحة).

المواجهة المجتمعية:

- صور ومعاني الإعلان عن طقس الكرامة أرجيه.
- طرق التجمع والاحتفاء وتوزيع طقس الكرامة أرجيه.
- تحديد معاني التضامن الجمعي المرتبط بطقس الكرامة أرجيه.
- تحليل مضمون عبارات ومعاني الرضا المرتبطة بمراحل طقس الكرامة أرجيه.
- فهم المعاني المرتبطة بالنصوص والحكايات الدالة على المعتقدات الشعبية المرتبطة طقس الكرامة أرجيه.
- رصد وتحديد وفهم معاني ومضمون الأمثال الشعبية المتداولة حول الوقاية من الأمراض والمخاطر.

دليل الملاحظة

أساليب المواجهة والتكيف مع الأزمات المترتبة على انتشار جائحة كوفيد ١٩ لدى المرأة النوبية

بحث أنثروبولوجي في بعض قرى النوبة بمحافظة أسوان

ملاحظة ومتابعة دقيقة لـ:

١- صور انتشار واستخدام الكمامة في مجتمع البحث.

٢- صور التباعد المكاني في مناشط الحياة اليومية.

٣-صور الحرص على نظافة الشوارع والمنازل – إزالة القمامة والتعقيم المستمر للأماكن.

٤- صور الاهتمام بعقد ندوات تثقيفية يحاضر فيها متخصصون ومدى حرص المواطنين على حضورها.

٥- صور التغير في أنماط العلاقات الاجتماعية والأنماط المعتادة للتفاعل الاجتماعي(العزاء –الزواج– الميلاد –تجمعات السمر).

٦- التغير في صور العلاقات الحميمية (من المصافحة والعناق والتقبيل والتقارب الجسدي).

٧- رصد صور المعلنين وتحديد مظاهر ومعاني الإعلان عن طقس الكرامة أرجيه.

٨- ملاحظة خصائص وأفعال المنخرطين في مراسم طقس الكرامة أرجيه.

٩- ملاحظة التفاعلات الاجتماعية ومعانيها التضامنية أثناء ممارسة طقس الكرامة أرجيه.

١٠- تسجيل معاني ونصوص ومشاعر الرضا المرتبطة بطقس الكرامة أرجيه.

١١- جمع وتسجيل الحكايات الشعبية المرتبطة بطقس الكرامة أرجيه.

١٢-جمع وتحليل مضمون الأمثال الشعبية المتداولة حول الوقاية من الأمراض والمخاطر.

١٣-ملاحظة صور الاهتمام باقتناء الكمامة وارتدائها وكذلك عدد مرات استعمالها.

١٤- ملاحظة صور الاهتمام بأنماط الوقاية الصحية السليمة.

١٥- ملاحظة تأثير المستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد والأسرة على اقتناء الأدوات الطبية والاحترازية الملائمة .

١٦- تغير أنماط العمل والحصول على الدخل.

١٧- ملاحظة صور الاستهلاك وإشباع الاحتياجات اليومية.

١٨- ملاحظة صور التعاون والمساعدات الخيرية والقرابية.